

قبس الروح

لبيان ما في الوسوسة من الجنوح

دراسة موضوعية في الكتاب العزيز والسنة المطهرة

بقلم

سعيد محمد بواعنة

قدم له :

فضيلة الدكتور أحمد نوفل

أستاذ التفسير في كلية الشريعة/ الجامعة الأردنية

دار الفضيلة

قبسُ الروح

لبيان ما في الوسوسَة من الجنوح

دراسة موضوعية في الكتاب العزيز والسنة المطهرة

بقلم: سعيد محمد علي بواعنة

قدَّم له فضيلة الدكتور: أحمد نوفل
أستاذ التفسير بكلية الشريعة - الجامعة الأردنية

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٣٥١٠ / ١٠ / ٢٠٠٨)

٢١٢

بواعنة ، سعيد محمد علي

قبس الروح لبيان ما في الوسوسة من الجنوح : دراسة موضـــوعية في الكتاب العزيز والسنة النبوية / سعيد محمد علـــي بواعنـــة. ـ عمـــان : دار الفضيلة ، ٢٠٠٨

(٩١) صفحة

ر.أ. : (٣٥١٠ / ١٠ / ٢٠٠٨).

الواصفات : / الإسلام // الفقه الإسلامي // الـــشيطان // العبـــادات // الثقافة الإسلامية

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

دار الفضيلة للنشر والتوزيع
عمان – الأردن – ت (٦٦٧٥٨٢٥ ٧٩ ٠٠٩٦٢)

الإهداء

إلى أستاذ البشرية وهاديها ومنقذها الأعظم ﷺ

إلى أمة التوحيد وحّد الله ﷻ صفها وجنبها الوساوس في دينها ودنياها . . . .

إلى كُلِّ مسلم ومسلمة في أرجاء المعمورة ينبض منهما القلب بالدين وللدين ومن الدين وفي الدين وإلى الدين وعلى الدين . . .

أهدي هذا الجهد راجيا القبول عند المولى ﷻ

والله من وراء القصد وكفى به وكيلا .

سعيد

تقدمة الكتاب

بقلم : د. أحمد نوفل

أستاذ التفسير بكلية الشريعة- الجامعة الأردنية

منذ البدء كانت عَداوة الشيطان ، وأعلنَ الرحمنُ ذلك إذ قال لآدم:

﴿ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ [طه: ١١٧]

وقال: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ... ﴾ [البقرة: ٣٦] و [الأعراف: ٢٤]

ثمَّ أعلنَ لذريّة آدم :

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦]

واختتم مولانا كتابه المجيد بتأكيد هذه العداوة ، والتحصُّنِ بالله من جرّائها في سورة الناس ؛ فكان آخر كلام الله ﷻ في كتابه :

﴿ ... مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ٤].

فالوسوسة سِلاح الشيطان في البدءِ ، والوسوسة سلاحُه الفتّاك حتى النهاية. وبهذه الوسوسة ليس له سُلطان على عباد الله الذين آمنوا ، إنما سُلطانه على مَن يتولاّه ويُواليه ويؤمن به ويشركه مع الله . معْ أنَّ الله حذّر العبادَ من عبادَة الشيطان إذ قال :

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يس : ٦٠].

هذه مقدّمة لمقدمتي لكتاب الأخ سعيد بواعنة ؛ مِن أنبه طلاب الدراسات العليا في الجامعة الأردنية ؛ وفيهم متميزون هو أحدهم ، وهو موهوبٌ مثقّفٌ متابع مُطالعٌ قارئ كاتبٌ شاعرٌ باحثٌ ، وقد قلّبْتُ في الكتابِ واطّلعتُ على أشياء منهُ بما أسعفَ ضغطُ العملِ والظروف؛ فوجدتهُ – فيما أعلم – غيرَ مسبوق في بابه بهذا التخصّص وبهذه المعالجة.

والكتابُ يقعُ في أكثر من عشرة مباحث كلُّها في موضوع الوسوسة ؛ فمن تعريفها إلى بحثِ علاقة الوسوسة بالإيمان ، إلى الوسوسة في العبادات بدءا من النيّة مرورا بسائر الأركان ، وانتهاءً بالمبحث الحادي عشر في معالجة الوسوسة ؛ فهو يصفُ الدّاء ويصف له الدواء . وفي كُلِّ ذلكَ يعتمدُ صريح الآياتِ وصحيحَ الأحاديثِ والرواياتِ.. كتابٌ

– فيما أرى – مهمٌّ في بابِهِ ، موفّق في معالجاتِهِ غير مكرورٍ عن غيرِهِ أرجو أن تتبعه للكاتبِ كتب أخرى في ميادين متنوعة متعدّدة والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

د. أحمد نوفل

١٥ / ٧ / ٢٠٠٨م. الموافق: ١٢ – رجب – ١٩٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي جعلنا في موكب الإسلام من السعداء، وجنَّبنا دركات الشقاء، وحذَّرنا وساوس إبليسَ أخبثِ الخبثاء، وجعلنا في زمرة طلاب العلم لا مِن الجهلاء، والصلاة والسلام على من سعِد الكون بمقدمه فازداد من البشر والبهاء، وكان بدعوته للبشرية طبيبا لا كالأطباء؛ سقاها لذة الإيمان وأبرأ صدورها من كل الضلالات والوسوساتِ العمياء؛ فأضحت النفوس وجوارحها تعيش نعمة الإسلام متلقية إياها بالحمد والثناء، وترفلُ في رياض السعادة والهناء، والصلاة والسلام سرمدًا على رسل الله أنبيائه الكرماء سلاما لا ينقضي إلى يوم اللقاء.

وبعد؛

فإنّ الحق ﷻ حينما طلب من البشر عبادته وتنزيهه وجههم بذلك إلى دار الحياة الحقة لا إلى دار الفناء لقوله عزّ من قائل: ﴿ **وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٤] كما أراد منهم أن يدوروا في فلك السعادة لا في فلك الشقاء وذكّرهم يومَ القيامة؛حيث يقفون بين يديه منهم الشقي بسوء عمله وإقباله على الباطل ومنهم السعيد بصالح عمله وإقباله على الحق يقول تبارك وتعالى في ذلك: ﴿ **يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ** ﴾ [هود: ١٠٥] وأراد منهم كذلك أنْ يعيشوا في النور لا في الظلمات كيف لا وهو القائل في محكم التنزيل: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾ [الحديد: ٩] فجاءت الظلماتُ سابقة للنور ليحصل الفارق ولتظهر النعمة أجزل في عيون الناظرين فأيُّ سعادة أحلى من سعادة منبعها النور الرباني وأي حياة أزكى وأطيب من حياة امتدحها البارئ ﷻ بقوله: ﴿ **وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ [الأعلى: ١٧].

ومن هنا فقد قصد الله ﷻ لبني آدم السعادة في الدارين فزودهم بوسائل السعادة وراحة النفس وهدأة البال ووجههم إليها وطالبهم بتفعيلها في كلّ مناحي الحياة؛ زمانا ومكانا حتى يتحقق مراده في شيوع السِّلم في أرجاء الكون ومن أبرز تلكَ الوسائل دفع

وساوس الشيطان لكونها تنغصُ عيش العبدِ وتكدِّر خاطره وتشوش ذهنه وتبقيه بعيدا عن كلِّ خير وتصرفه عن لذة العبادة وتبقيه في ركابِ الشيطان يتّبع خطواتهِ دلّ على ذلك قوله سبحانهُ وتعالى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ** ﴾ [البقرة : ٢٠٨] فطلبُ اللهِ مفادهُ أنْ يعقدَ المؤمن حقًا اتفاق سلام مع نفسه ومع روحه ومع أعضائه كلّها ومع الكون من حوله حتى يتهيأ المناخ المناسب للطمأنينة والأمان فتتحرر النفسُ من قيودِ إبليسَ عليها ووسوساتهِ فيها ورحم الله البوصيري حين قال [1]:

فــإنَّ أمّارتي بــالسـوءِ مـا اتـعظتْ ... مِنْ جهلهــا بنذيــرِ الشيبِ والهرمِ

مَــنْ لي بــردِّ جِمـاحٍ مِن غـوايتها ... كـما يُـردُّ جِمحُ الخيلِ بـاللّجُمِ

فلا تَــرُم بالمَعاصِيْ كسْــرَ شهوتِها ... إنَّ الطعـام يــقوي شــهوةَ النَّـهِمِ

والنَّفسُ كالطفلِ إن تُهْمِلهُ شبَّ على ... حُــبِّ الرَّضاعِ وإنْ تـفطمهُ يَنفَطِـمِ

وخالفِ النّفسَ والشّيطانَ واعصِهما ... وإنْ همــا مَحّضــكَ النُّصـحَ فـاتَّهمِ

ولا تُطع منهما خصمًا ولا حكمًــا ... فأنتَ تعرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ والحَكَمِ

إنّ الناظر في هذا الزمان يجد أنّ الشقوة غلبتْ على طابع أهله – حتى باتَ اللبيبُ يرى تجهم الزمان والمكان من المعاصي التي يقع فيها الخلق على نحو من غياب البصيرة وتغافل البصر عن موبقات تقشعرُّ لها الأبدان ويقف لها شعر الرؤوس ويشيب لها الولدان ، وكنتُ في حِلي وترحالي في البيت والأسواق وفي المدارس والجامعات حتى في المساجد ألمح مسحة الشقوة في الوجوه وكان تفكيري في قوله ﷻ : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ** ﴾ [البقرة : ٢٠٨] كان هذا القول الرباني يملك علي السمع والبصر ؛ فالزلازل تموج في العالم والحروب لا يقف شلالها الدموي والغلاء يكوي القلوب قبل الأبدان والفتن تعصف كالليل المظلم ، وكلُّ ذلك مردُّه الوسوسة الشيطانية التي هدمت أمم الأرضِ وأمَّة الإسلامِ على وجه الخصوصِ ؛ لبّستِ

---

١ - البوصيري ، محمد بن سعيد (ت ٦٩٦هـ) ، **ديوان البوصيري** ، ط١ ، دار المعرفة – بيروت ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م ، ص (٢٢٨) .

العبادات على المسلمين فصارَ أحدُهم يَقدُمُ العبادة مضطربَ الجوارح متعبَ الجوانحِ مهمومًا بالشكليات والقشور تاركا اللبَّ والنّور ؛ فالإيمانيات لديه معلّقة على قشّة في مَهبِّ الريح والطهارةُ عندهُ طقوسٌ معقّدة والصلاة أبوابٌ حديدية موصدة ، والصوم أغلال من جحيم والزكاة منقصة للمال وتضييقٌ على العيال والحجُّ إضناءٌ للأجسام ....إلخ .

هذا وقد بلغَ استيلاءُ إبليسَ الرجيمَ عليهم أنهم أجابوه إلى ما يشبه الخبل والجنون ويُقاربُ مذهبَ أهل السفسطة الذينَ ينكرونَ حقائقَ الموجودات ؛ فعلمُ الإنسانِ بحال نفسه من الأمور اليقينية الضرورية ، فعَلامَ يتوسوسُ في الوضوءِ وهو يغسلُ عضوهُ غسلاً يشاهده ببصره لا مراء ولا شكّ فيه ؟! وعَلام الوسوسة في الصلاة وهو يُكبِّرُ ويقرأ شيئا بلسانِهِ تسمعُهُ أذناه ويعلمُهُ قلبُهُ ؟! لا بل يعلمه غيرهُ منه ويتيقنهُ إذا رأى ذلكَ أو سمعه منه.

اعلم أنَّ كلَّ ذلك وغيرهُ ما هو إلا مبالغةٌ في طاعة إبليس الرّجيم وقبولا من وسوسته ، وَمَنْ انتهتْ طاعتهُ لإبليسَ هذا الحدَّ فقد بلغ النهايةَ في طاعتهِ ، ثمَّ إنّه يقبلُ قولهُ الخبيثَ في تعذيب نفسهِ ويطيعُه في الإضرارِ بجسدهِ بالغوصِ في الماءِ البارد ، وتارةً بكثرة استعمالهِ وإطالةِ العركِ مبالغةً وربَّما فتحَ عينيهِ في الماءِ وغسلَ داخلهما حتى يضرَّ بصرَهُ وربّما شغلهُ بوسوسته حتى تفوته تكبيرة الإحرام أو الجماعة وربما يفوته الوقتُ أيضا ولقد قالَ لي بعضهم : إنَّ أحدَ المُوَسوَسِينَ قالَ لهُ : إنني إذا أردتُ أنْ أصلّي في البيت رفعتُ صوتي بالصلاة النهارية قراءة وتكبيراتٍ وتشهد وقبلَ أنْ أبدأ الصلاةَ أحضِرُ المسجّل وأسجّل صلاتي فإذا فرغتُ قمتُ للمسجل فاستمعتُ إلى صلاتي متتبعا إيّاها حرفا حرفًا حتى أطمئنَّ إلى أنَّ صلاتي صحيحة فإنْ رأيتُ لعثمة أو شائبة لا أستريحُ إليها أعدتها حتى أستريح...

ثمَّ اعلمْ علمًا يقينيا جازمًا أنَّ سيدنا رسول الله ﷺ وأصحابَهُ الكرام رضوانُ اللّهِ عليهم أجمعين ما كانَ فيهم مُوَسْوَسٌ ؛ فإنْ وجدَ أحدهم شيئا من الوسوسة بادرَ إلى كبحِ جماحها وإبطالها ، ثمَّ لو كانتِ الوسوسةُ فضيلةً وتكريما لما ادخرها اللّه تبارك وتعالى عن رسولهِ ﷺ وصحابته الكرام خير الخلقِ وأفضلهم ، ولو أدركَ رسولُ اللّهِ ﷺ الموسوَسِيْنَ لمقتهم ولو أدركهم الصديق أو الفاروقُ أو ذو النورين أو أبو الحسنين أو... لضربهم وعزّرهم ولبدَّعهم ونبذهم وكرههم .

من هنا لمّا كَانَ الحالُ أليمًا والخطرُ من الوسوسة جسيمًا فقد صنّفتُ هذا الكتابَ الموسوم بـ " قبس الروح لبيانِ ما في الوسوسةِ من الجُنوح " –دراسة موضوعية في

الكتاب العزيز والسنة المطهرة ،وقصَدْتُ مِنه أنْ أجلّي حقيقة الوسوسةِ في الكتاب العزيز والسنة الشريفة وأنْ أقف على كلام العلماء في بيان تفاصيلها والأمورِ ذاتِ الصلة بها ليطّلعَ عليها المسلمون فيَعْمدوا إلى مراجعةِ أنفسهم ومعرفة مواطن القوة وثغراتِ الضعفِ فيها وتقييمها إزاءَ معضلةِ الوسوسة والتعرّف على الآثارِ السلبية للوسوسة والوقوف على القواعد المناسبة في معالجتها والتخلّص منها وقد جاءت الدراسة في هذا الكتاب موزّعة على أحد عشرَ مبحثا هي :-

المبحث الأول : الوسوسة لغة واصطلاحا وبيان حقيقتها.

المبحث الثاني : عناصر العملية الوسواسية.

المبحث الثالث : علاقة الوسوسة بالإيمان.

المبحث الرابع : الوسوسة في النية.

المبحث الخامس : الوسوسة في الطهارة(الوضوء والتيمم والغُسل).

المبحث السادس : الوسوسة في الصلاة .

المبحث السابع: الوسوسة في الصيام.

المبحث الثامن: الوسوسة في الزكاة والحجّ .

المبحث التاسع: .الوسوسة في أمور حياتية يسّر الشارع فيها .

المبحث العاشر: الآثار السلبية للوسوسة في حياة المسلم .

المبحث الحادي عشر: القواعد الناجعة في معالجة الوسوسة.

وأخيرًا لا يسعني إلا أن أقولَ : إنّ هذا العملَ جهدُ بشر يصيب ويخطأ ؛ فإنْ أصبتُ فلله الحمد والمِنّةُ على توفيقه لي وتيسيره السبيل لإتمام هذا العمل ، وإنْ قصَّرتُ فأسأل الله السلامة والمعافاة فلا كمال إلا له سبحانه وتعالى ولكتابه العزيز ؛ فهو وليّ كلِّ نعمة عليه توكلتُ وإليه أنيب .

وكتب : سعيد محمد علي بواعنة

إربد / حريما

١٨جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ

٤ تموز ٢٠٠٧ م .

المبحث الأول : الوسوسة لغة واصطلاحا وبيان حقيقتها

أولا: مفهوم الوسوسة لغة واصطلاحا :

الوَسْوَسَةُ لغةً : مأخوذة من الجذر وَسَسَ ، والوَسْواس: الصوت الخفي من ريح وهو كذاكَ صوت الحُلْي، وقد وَسْوَسَ وَسْوَسَة ووِسْواساً، بالكسر. و الوَسْوَسة والوِسْواس: حديثُ النفس ، يقال: وَسْوَسَتْ إِليه نفسه وَسْوَسة و وِسْواساً، بكسر الواو والوَسْواسُ، بالفتح، الاسم مثل الزِّلْزال والزَّلْزال، و الوِسْواس، بالكسر، المصدر. و الوَسْواس، بالفتح: هو الشيطان. وكلُّ ما حدَّثك :وَوَسْوس إِليك، فهو اسم "[١]. أمَّا الوسوسة اصطلاحا فحكى ابن الأثير في معناها أنَّها : كلام المرء على نحو لا يبينه [٢] وحكى ابنُ منظور أنها الكلام الخفي في اختلاط وجاء أيضا أنها حديث النفسِ والأفكار "[٣] وعرّفها الحافظ ابن حجر بقوله : " تردد الشيء في النفس من غير أن يَطمئن إليه ويستقر عنده "[٤].

قلتُ : إنَّ الوسوسة اجتمعَ فيها معنى الخفاء وحديث النفس والأفكار والاختلاط في الكلام ،والوسواس هو الشيطان وهذه المعاني بمجموعها تقودنا إلى تعريفها بأنها : حديثُ النفس والأفكار الدائرة لدى المرء على وجه الخفاءِ بصورة مختلطة غير متضحة يكنفها التردد وعدم الاستقرار في النفسِ بفعل تأثير الشيطان .

---

١ - ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) ، **لسان العرب** ،ط٢ ، دار صادر – بيروت ، ١٩٩٠م، ج:٦، ص (٢٥٤) مادة (وَ سَ سَ).

٢ - ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن (ت ٦٣٥هـ) ، **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، تحقيق : طاهر الزاوي وآخرون ، ط٢، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ج:٥، ص (١٨٥) مادة (وَسوسَ).

٣ - ابن منظور ، محمد بن مكرم ، (ت ٧١١ هـ) ، **لسان العرب** ، ج:٦، ص (٢٥٥) مادة (وَ سَ سَ).

٤ - ابن حجر ، أحمد بن علي (٨٥٢ هـ) ، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ،د.ط ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩ هـ ، ج:٥، ص (١٦١).

ثانيا: حقيقة الوسوسة .

إذا كانت الوسوسة على نحو ما تقدَّم فلكَ أنْ تعلمَ أنَّ الشيطان حينما يوسوس فإنَّ ذاكَ عائد إلى سلطانٍ إقناعي إغرائي تزييني منه لا إلى سلطان قهري ؛ فالشيطان يقنع المرء بقضية ما ويُجمِّلها أمامه ويجعلها مغرية له ولكنه أبدا لا يقهرهُ على فعلها إن كانت فعلا أو قولها أو تقريرها إنْ كانت قولا أو تقريراً ، وقد كشف القرآن هذه الحقيقة على لسان إبليس ذلكَ أنَّ الشيطان سيسخر من متبعيه فيقول لهم :أيها الخائبون : ﴿ ... وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ... ﴾ [إبراهيم: ٢٢] فليس فيكم واحد أقدر عليه ،إذ لم يكن لي على أحدكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي . قال الإمام القرطبي : " وما كان لي عليكم من سلطان أي: من حجة وبيان أي ما أظهرت لكم حجة على ما وعدتكم وزينته لكم في الدنيا إلا أنْ دعوتكم فاستجبتم لي أي :أغويتكم فتابعتموني وقيل لم أقهركم على ما دعوتكم إليه إلا أنْ دعوتكم ... أي لكن دعوتكم بالوسواس فاستجبتم لي باختياركم فلا تلوموني ولوموا أنفسكم وقيل وما كان لي عليكم من سلطان أي :على قلوبكم وموضع إيمانكم لكن دعوتكم فاستجبتم لي "[1]. ومن هنا ينبغي للمسلم أنْ يكون على حذر من سلطان الإغواء الشيطاني فلا ينفعُ المرءَ أن يلقي بالآثمة على إبليس ؛ لأنه يعترف أنه ليس ذا سلطان قهري بل مهمته مهمةٌ إقناعيةٌ تزيينيةٌ.

---

١ - القرطبي ، محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ) ، **الجامع لأحكام القرآن** ، تحقيق : أحمد عبدالعليم البردوني ، ط٢، دار الشعب – القاهرة ، ١٣٧٢ هـ ، ج:٩، ص (٣٥٦/٣٥٧).

المبحث الثاني : عناصر العملية الوسواسية

إنّ المتأمل في قضية الوسوسة يجدها عملية ليست باليسيرة ؛ إذ هي عملية من شأنها أنْ تشلَّ أو تدمِّرَ منهجية الأقوال والأفعال والتقريرات عندَ المرء عموما والمسلم خصوصا ،الأمرُ الذي يقودُ من كان ضحية الوسوسة إلى تضييع واجبٍ أو فعلِ مُحرَّم إضافة إلى فقدانه الشخصية المتوازنة في حركاته وسكناته ، وهذه العملية الوسواسية لها عناصرها التي تقوم عليها وهي :

١- الوَسْوَاسُ: وهو الشيطان ؛ فالوسوسة حربٌ شيطانية يتزعمها الشيطان ، وقدْ أخبرَ الله عن منهج إبليس في الوسوسة فقال على لسانه: ﴿ **قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٦- ١٧] يقول القرطبي : " الإغواء إيقاعُ الغيِّ في القلب أي :فبما أوقعتَ في قلبي من الغيِّ والعناد والاستكبار وهذا ؛لأن كفر إبليس ليس كفرَ جهل بل هو كفرُ عناد واستكبار ... والمعنى أي فبإغوائك إياي لأقعدنَّ لهم إلى صِراطكَ أو صِراطَكَ فحذفَ دليلَ هذا القول قوله في سورة (ص) ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [ص: ٨٢] فكأن إبليس أعظمَ قدر إغواء الله إياهُ لِمَا فيه من التسليط على العباد فأقسم به إعظاما لقدره عنده... قوله تعالى: ﴿ **لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الأعراف: ١٦] أي: بالصدِّ عنه وتزيينِ الباطلِ حتى يَهلكوا كما هلكَ أو يَضِلُّوا كما ضلَّ أو يُخيَّبُوا كما خُيِّب ... والصراط المستقيم هو الطريق الموصل إلى الجنة" [1].

هذا وفي الآية ملحظ عجيب فريدٌ صورتُه أنَّ إبليسَ عرضَ في منهجه الإغوائي إلى جهات أربع معَ أنَّ الجهات ستٌ غيرَ أنَّه تركَ الفوق والتحت وسبب تركه لهما أنه عَلمَ يقينا أنَّهما ليستا له لأنَّهما فوقية إلهية في الدعاء وتحتية وحضيض في العبودية لله ، يقول الإمام محمد متولي الشعراوي في التعليق على ذلك : " وهنا يشرح إبليس صفة ذلك الطريق المستقيم حيث أخبرنا أنه سيأتينا من أربع جهات هي :الأمام والخلف واليمين والشمال. والجهات كما نعلم ست فأين الفوق وأين التحت؟ **قلتُ**:لا يأتي منهما ؛ لأنه يعلم جيدا- إبليس- كعهدنا بعلمه أنَّ من تمثل الفوقية الإلهية والتحتية العبودية لا يتأتى له الشيطان

---

١ - القرطبي ، محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ) ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج:٧، ص (١٧٤و١٧٥).

أبدا ، فهو يعيش في مستوى علو إلهي فوقي وحضيض عبودي تحتي وبالتالي لن ينال منه الشيطان على الإطلاق ،فنعلم عندئذ أن هاتين الجهتين لا يتأتى منهما إبليس ،وإنما جاء من الجهات الأربع التي ذكرناها .

ومن العجيب أنك إذا نظرت إلى رافدات الإلحاد في كل عصر تجدها من هذه الجهات الأربع ،فيقول لك أحدهم: هذا تقدمي وهذا رجعي وهذا يميني وهذا يساري، ولكنْ نحن لسنا تقدميين نسير وفق ما جاء عليه العصر ولسنا رجعيين نسير على ما كان عليه آباؤنا ولسنا يمينيين على عرف العصر ولسنا يساريين على عرف العصر، وإنما نحن أمة محمدية فوقية ؛فكل أمورنا آتية من فوق ولذلك لما كانت جميع أمورنا آتية من فوق يُطمئنك الحق ﷻ فيقول لك: إنك إذا ما خضعت لحكم الله فاعلم أنك غير خاضع لمساويك إذن فما دام أنك خاضع لمن هو أعلى منك ، وهو أي: الشيطان خاضع للذي أنت خاضع له فلا تخش شيئا ؛ولذلك هذه الفوقية هي التي جعلت الله تعالى يختار هذه الأمة الأمية ليجعل فيها آخر صلة السماء بالأرض ؛ لأنها أمة فوقية" [١].

قلت : وفي هذا تتجلى عظمة الخالق ﷻ فقد أعطاه جهات الإغواء كلها وعددها أربع واكتفى الحق بجهتين هما الفوق والتحت ، وفي ذاكَ تدليل على أنه وإن كانت أبواب الشر كثيرة وأبواب الخير أقل فذلك ليس مقياسا في حياة العابد لله ؛لأن العبرة بالنوع لا بالكم. ويضاف إلى هذا أنَّ الإنسان إذا نظر إلى الفوق كان بعيدا عن المعصية وإذا نظر إلى التحت لم يحسن الشيطان أن يسحبه إلى جهات المعصية وهذا سر عظيم فتنبه إليه .

٢- المُوَسْوَسُ لهم : وهم البشر بنو آدم وقد كشفَ الله حقيقة ذلك التسلط الشيطاني على بني آدم واستثنى مِنْ تسلطه ووسوسته وإغوائه المُخلصين من عباد الله: ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ** ﴾ [ص:٨٢- ٨٣] يقول شيخ المفسرين الطبري : أي " إلا مَن أخلَصْتَهُ بتوفيقكَ فهديتَهُ فإنَّ ذلك ممن لا سلطان لي عليه ولا طاقة لي به وقد قرىء ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴾ فمن قرأ ذلك كذلك فإنّه يعني به إلاّ

---

١ - الشعراوي ، محمد متولي (ت ١٤١٩هـ) ، **تفسير الشعراوي** ، نقلته سماعا عن موسوعة مكتبة القرآن الكريم ، إصدار المركز الهندسي للأبحاث التطبيقية ، القرص رقم (٢) تفسير الاستعاذة.

من أخلص طاعتكَ فإنه لا سبيل لي عليه " [١] ومن هنا تجدُ الحقَّ تباركَ وتعالى كشفَ عن ضمانه الإلهي لهؤلاء العباد المُخلَصينَ والمُخلِصينَ حيث يقول: ﴿ **إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ** ﴾ [الحِجر: ٤٢] هذا ولعلّكَ تسأل : ما سرُّ هذا التسلط مِنْ إبليس والجواب على ذلكَ مردّه حسدُ إبليس وكِبْرُهُ وشعوره بالتعالي وبالخيرية على ابنِ آدم وتعظيمهِ أمرَ نفسهِ على أمرِ ربِّهِ يقول الله ﷻ على لسان إبليس حينَ أمره بالسجود آدمَ : ﴿ **قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ** ﴾ [الأعراف: ١٢].وقال الحق يحكي عنه في موضع آخر: قَالَ﴿ **ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا** ﴾ [الإسراء: ٦١] .

٣- <u>مادة الوسوسة</u> : ويقصدُ بها الموضوعات التي يستغلها الشيطان في وسوسته للإنسان ؛ حيث أشار القرآن الكريمُ إلى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ **وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾ [الإسراء: ٦٤] يقول القرطبي : " واستفزز أي: استزل واستخفَّ... واستفزز أمر تعجيز أي أنتَ لا تقدر على إضلالِ أحد وليس لك على أحد سلطان فافعل ما شئت ، قوله تعالى ﴿ **بِصَوْتِكَ** ﴾ وصوته كل داع يدعو إلى معصية الله تعالى... وقيل بصوتك بوسوستك ، قوله ﴿ **وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ** ﴾ أصل الإجلاب السَّوْق بجلبة من السائق يقال أجلب إجلابًا والجَلَبُ والجلَبَة الأصوات... فالمعنى أجمع عليهم كلما تقدر عليه من مكايدك وقال أكثر المفسرين يريد كل راكب وماش في معصية الله تعالى... قوله تعالى : ﴿ **وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ** ﴾ أي: اجعل لنفسك شركة في ذلك فشركتهُ في الأموال إنفاقها في معصية الله... وقيل هي التي أصابوها من غير حلها... قولهُ ﴿ **وَٱلْأَوْلَٰدِ** ﴾ قيل: هم أولاد الزنى وقيلَ هو ما قتلوا من أولادهم وأتوا فيهم من الجرائم وقيلَ هو تسميتهم عبد الحارث وعبد العزى وعبد اللات وعبد الشمس ونحوه وقيل هو صبغة أولادهم في الكفر حتى هودوهم ونصروهم كصنع النصارى بأولادهم بالغمسِ في الماء الذي لهم وقيلَ المعنى إذا جامع الرجل ولم يسمّ انطوى الجآن على إحليله فجامع معه فذلك قوله تعالى: ﴿ **لَمْ**

---

١ - الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ، **جامع البيان في تأويل آي القران** ، د.ط ، دار الفكر- بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ج:١٤، ص (٣٢).

يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن : ٧٤] " [1] هذا وقد بينَ الشيطانُ أنَّ وسوسته ستكونُ حربا ضروسا يقلبُ فيها حياة المبتعد عن منهجِ اللهِ رأسا على عقب يقول الله تعالى على لسانِ إبليس : ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١١٨ و ١١٩]

قال القرطبي : " والمعنى لأستخلصنهم بغوايتي وأضلنَّهم بإضلالي وهم الكفرة والعُصاة... وقيل من النصيب طاعتهم إياه في أشياء منها أنهم كانوا يضربون للمولود مسمارا عند ولادته ودورانهم به يوم أسبوعه يقولون ليعرفه العُمَّار [2] ولأضلنهم أي: لأصرفنهم عن طريق الهدى ولأمنينهم أي لأُسوِّلَن لهم من التمني وهذا لا ينحصر إلى واحد من الأمنية؛ لأنَّ كلَّ واحد في نفسه إنما يمنيه بقدر رغبته وقرائن حاله وقيل لأمنينهم طول الحياة الخير والتوبة والمعرفة مع الإصرار ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام البَتْكُ القطع... أي: أحملهم على قطع آذان البحيرة والسائبة وغيرها " [3]. وقال السيوطي في معنى ولأضلنهم أي : لأضلنهم عن الحق بالوسوسة " [4]. ثمَّ إنَّ مِنْ مرتكزات الشيطان في منهجه الإغوائي الوقيعة بينَ الناسِ وسَوقهم إلى عداوة لا تنتهي وبغضاء لا تنقضي يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا

---

١ - القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج:١٠، ص (٢٨٩).

٢ - العُمَّارُ : سُكانُ البيوت من الجنِّ . انظر : الرازي ، محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٠ هـ) ، **مختار الصحاح** ، د.ط ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م ، ص (١٩٠) مادة (عَ مَ رَ)

٣ - القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج:٥، ص (٣٨٩) . **البَحيرة هي : الناقة أو الشاة تشق أذنها نصفين** وكانت العرب تفعل بهما ذلك إذا نُتِجَتا عشرة أَبْطن فلا يُنْتَفَع منهما بلبن ولا ظَهْر، وتُترك البَحيرَةُ ترعى وترد الماء ويُحَرَّمُ لحمها على النساء، ويُحَلَّلُ للرجال، فنهى الله تعالى عن ذلك . (ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج:٤، ص (٤٣) مادة (بَ حَ رَ)) . السائبة : صورتها أنه كان الرجلُ في الجاهلية إِذا قَدِمَ من سَفَرٍ بَعيدٍ أَو بَرِىءَ من عِلَّةٍ أَو نَجَّتْه دابَّةٌ من مَشَقَّةٍ أَو حَرْبٍ قال :ناقَتي سائبةٌ أَي تُسيبُفلا يُنْتَفَعُ بظهرها ولا تُحَلأُ عن ماءٍ ولا تُمْنَعُ من كَلإٍ ولا تُركَب . (ابن منظور ، لسان العرب ، ج:١ ، ص (٤٧٨) مادة (سَ يَ بَ))

٤ - السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) ، **تفسير الجلالين** ، ط١، دار الحديث – القاهرة ، د.ت ، ص (١٢٣)

يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة :٩١] .

٤- زمان ومكان الوسوسة : لقد بقي الباب الزماني والمكاني للوَسوسة الشيطانية مَفْتوْحا غير مقرونٍ بزمنٍ أو مكان مخصوص ولعلَّ الحكمة الإلهية في ذلكَ أنْ يبقى المرء في العبادة والتهيؤ في جميعِ الظروفِ والأحوال؛فالأمرُ مستمرٌ معَ ابنِ آدمَ حتى يلقى ربَّهُ دلَّ على استمرارية الوسوسة قوله تعالى ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس :٤] ، فقوله ﴿ يُوَسْوِس ﴾ يدل الفعل على الاستمرارية للصنيعِ الشيطاني قال الطبري : " إن الله أمر نبيه محمدا ﷺ أن يستعيذ به من شر شيطان يوسوس مرة ويخنسُ أخرى ولم يخص وسوسته على نوع من أنواعها ولا خنوسَهُ على وجه دون وجه وقد يوسوس الدعاءَ إلى معصية الله فإذا أطيع فيها خنس وقد يوسوس بالنهي عن طاعة الله فإذا ذكر العبد أمر ربّه فأطاعه فيه وعصى الشيطان خنس فهو في كل حالتيه وسواس خناس وهذه الصفة صفته وقوله الذي يوسوس في صدور الناس يعني بذلك الشيطان الوسواس الذي يوسوس في صدور الناس جنهم وإنسهم " [1] ثمَّ اعلمْ أنَّ مُبتدأ وسْوَسَةِ الشَّيطانِ كان مع آدمَ وَحواءَ حيثُ أخرَجهما مِنَ الجنَّة بعدما وسوس وزين لهما الأكل مِن الشجرة قال الله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠و٢١] يقول القرطبي : " والوسوسة هي إنما إدخالهما في الزلل بالمعصية وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته على إدخاله في الزلل فيكون ذلك سببا إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه " [2] ليبدي لهما أي: ليظهر لهما ما ستر وغطى عنهما... إلا أنْ تكونا ملكين أي : إلاَّ ألا تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وقيل طمع آدم في الخلود؛ لأنه علم أن الملائكة لا يموتون إلى يوم القيامة " [3].

---

١ - الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ، **جامع البيان في تأويل آي القران** ، ج:٣٠، ص (٣٥٦).

٢ - القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج:١،ص (٣١٢).

٣ - القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، ج:٧، ص (١٧٧)

قلتُ : إنَّكَ ترى أنَّ الوسوسةَ يراعي فيها الشيطانُ حالَ المُوَسْوَسِ له ومقامَهُ فقد استدرجَ آدمَ وحواء وجذبهما إلى صورة كونهما مَلكين ومنّاهما بالخلودِ والتجأ إلى القسمِ ليؤكدَ مقولته واستدعى إبليس مقام النُّصحِ فحاصرهما فلم يبقي لهما خياراً فكانَ إخراجهما مِنَ الجنَّة بهذا المشهدِ الوسْواسيِّ.

المبحث الثالث : علاقة الوسوسة بالإيمان

لقد عَرفنا أنَّ الوسوسة أمر شيطاني مِن شأنه الخفاء والتخليط على المرء في كلامه وأفكاره بصورة تغيب فيها حقيقة الأشياء عنْ بصرهِ وبصيرتهِ ، وإذا كانتْ الوسوسة على هذا النحو من السوء والقبحِ يداهمُ المرء سؤالٌ مفاده : هل مِنْ عَلاقة بينَ الوسوسة والإيمان ؟ وما هي طبيعة هذه العلاقة ؟ وهل منْ شأنها إنْ وجدتْ أنْ ترفَعَ سويَّة الإيمان في النفس أو تُنْقِصهُ ؟ وهل الوسوسة هي الإيمانُ ذاتهُ أو هي أمر خارجٌ عنه؟ هلمَّ بنا نتعرفُ ذلك على مائدة سيدنا رسول الله ﷺ .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: " قَالَ جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِيْ أَنْفُسِنَا مَاْ يَتَعَاْظَمُ أَحَدُنَاْ أَنْ يَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ قَالَ : وَقَدْ وَجَدْتُمُوْهُ ؟ قَاْلُواْ : نَعَم. قَالَ ذَاكَ صَرِيْحُ الإِيْمَاْنِ " [١] وأخرجَ أيضا عن عَبْدِ الله ابن مسعود ﷺ قَالَ : سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ الْوَسْوَسَةِ ؟ قَالَ تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ " [٢].

قال الإمام النووي : " قوله ﷺ ذلك صريح الإيمان ومحض الإيمان معناه استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان فإنَّ استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن ينطق به فضلا عن اعتقادهِ إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالا محققا وانتفت عنه الريبة والشكوك واعلم أن الرواية الثانية وإنْ لم يكن فيها ذكر الاستعظام فهو مراد وهي مختصرة من الرواية الأولى ولهذا قدم مسلم رحمه الله الرواية الأولى وقيل معناه: إنَّ الشيطان إنَّمَا يوسوس لمن أيسَ من إغوائه فيُنكِّدُ عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه وأما الكافر فإنه يأتيه من حيثُ شاء ولا يقتصر في حقه على الوسوسة بل يتلاعب به كيف أرادَ فعلى هذا معنى الحديث سبب الوسوسة محض الإيمان أو الوسوسة علامة محض الإيمان " [٣]. وقال ابن الأثير : " قوله ﷺ " ذاك صَريحُ الإيمان " أي كراهتُكم له

---

١ - ابن الحجاج، مسلم (ت ٢٦١ هـ)، **الجامع الصحيح** ، بعناية : محمد فؤاد عبد الباقي ، د.ط، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د.ت ، كتاب الإيمان ، باب : بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ، ج:١، ص (١١٩) حديث رقم (١٣٢)

٢ - ابن الحجاج ، مسلم (ت ٢٦١ هـ) ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الإيمان ، باب : بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ، ج:١، ص (١١٩) حديث رقم (١٣٣)

٣ - النووي ، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) ، **المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج** ، ط٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٣٩٢ هـ ، ج:٢، ص (١٥٤).

وتَفَادِيكم منه صريح الإيمان والصّريح : الخالص من كل شيء , وهو ضد الكناية , يعني أن صريحَ الإيمانَ هو الذي يمنَعُكم من قَبول ما يُلْقيه الشيطانُ في أنفُسِكم حتى يَصير ذلك وسوسَة لا تَتَمَكَّنُ في قلوبكم , ولا تَطْمئن إليه نُفُوسكم , وليس معناه أنَّ الوسْوَسة نفْسها صريحُ الإيمان ؛ لأنَّها إنَّما تتولَّدُ من فِعلِ الشيطانِ وتَسْويلِه , فكيفَ يكونُ إيماناً صَريحاً " [١].

قلتُ : إنك ترى أنَّ العلاقة بين الوسوسة والإيمان علاقة تحفيزٍ؛ حيثُ إنَّ وجود الوسوسة في نفس المسلم واستعظامه هذه الوسوسة على نحوٍ يحول بينه وبين الكلام بمضمون أو مضامينِ هذه الوسوسة هو صريحُ الإيمانِ ومحضُ الإيمانِ ، ذلكَ أنَّ هذا الشعورُ يدلُّ على قدرة المرء على ضبط ما يدور في خَلَدِهِ ويجيشُ في نفسهِ ، وهذه القدرة باعثها الإيمانُ واليقين ورجحان كفته على كفة الكفر والظنِّ الشكّي ، ولمَّا كانَ الإيمانُ مؤشر سلامة الاعتقادِ في التوحيد الإلهي عندَ المرء لفتَ النبي الكريم ﷺ أذهان الصحابةِ – الكرام رضوان الله عليم – إلى ضرورة تركِ تلك الوسوسة والاستعاذة بالله مِن شرِّ الشيطان الرجيم امتثالا لقوله تعالى ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال ﷺ: " لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّىٰ يُقَالُ هَذَا خَلْقُ الِلهِ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذلكَ شَيْئاً فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللّهِ " [٢] وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله : " يأتي الشَّيْطَانُ أحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا حَتَّى يَقولَ : مَنْ خَلقَ ربَّكَ ؟ فإذاْ بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ باللّهِ ولْيَنْتَهِ " [٣]. حكى الإمام النووي عن الإمام المازري أنه قال : " ظاهر الحديث ﷺ أمَرَهُم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والردِّ لها من غير استدلال ولا نظر في إبطالها قال والذي يقال في هذا المعنى أنَّ الخواطر على قسمين: فأما التي ليستْ بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تُدفع بالإعراض عنها وعلى هذا يُحمل الحديث وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة فكأنه لما كان أمرا طارئا بغير أصل دفع بغير نظر في دليل إذ لا

---

١ - ابن الأثير ، **النهاية في غريب الحديث** ، ج:٣، ص (٢٠)

٢ - مسلم ، **الجامع الصحيح** ،كتاب الإيمان ، باب : بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ، ج:١، ص (١١٩) حديث رقم (١٣٤).

٣ - مسلم ، **الجامع الصحيح** ،كتاب الإيمان ، باب : بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ، ج:١، ص (١١٩) حديث رقم (١٣٤).

أصل له ينظر فيه ،وأما الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبهة فإنها لا تدفع إلا بالاستدلال والنظر في إبطالها والله أعلم وأما قوله ﷺ : "فليستعذ بالله ولينته" فمعناهُ إذا عرضَ له هذا الوسواسُ فليلجأ إلى الله تعالى في دفع شرِّه عنه وليُعرض عن الفكر في ذلك وليعلم أنَّ هذا الخاطر من وسوسةِ الشيطان وهو إنما يسعى بالفساد والإغواء فليعرض عن الإصغاء إلى وسوسته وليُبادر إلى قطعها بالاشتغال بغيرها " [1]. يقول ابن أبي العز : " إن وسوسة النفس أو مدافعة وسواسها بمنزلة المحادثة الكائنة بين اثنين فمدافعة الوسوسة الشيطانية واستعظامها صريح الإيمان ومحض الإيمان هذه طريقة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ثم خَلف من بعدهم خلْف سوَّدوا الأوراق بتلك الوساوس التي هي شكوك وشُبَهٌ بل وسودوا القلوب وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق " [2].

وينبغي العلمُ بأنَّ وسوسة الشيطان للمرء في أمر الخالق سبحانه وتعالى إنَّما مردُّها امتناع العبد على الشيطان واعتصامه بالله حق الاعتصام حكى ابن القيم في كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية" قال : " قال إمام الصوفية في وقته الإمام العارف أبو عبد الله محمد بن عثمان المكي رحمه الله قال في كتابه " آداب المريدين والتعرف لأحوال العبادة " في باب ما يجيء به الشياطينُ للتائبين من الوسوسة وأما الوجه الثالث الذي يأتي به الناس إذا هم امتنعوا عليه واعتصموا بالله فإنه يوسوس لهم في أمر الخالق ليفسد عليهم أصول التوحيد وذكر كلاما طويلا إلى أنْ قال فهذا من أعظم ما يوسوسُ به في التوحيد بالتشكيك أو في صفات الرب بالتشبيه والتمثيل أو بالجَحد لها والتعطيل وأن يدخل عليهم مقاييس عظمة الرب بقدر عقولهم فيهلكوا أو يضعضع أركانهم إلاَّ أنْ يلجأوا في ذلك إلى العلم وتحقيق المعرفة بالله ﷻ من حيث أخبر عن نفسه ووصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ " [3] وحكى شيخ الإسلام ابن تيمية قال : " وقال عمرو بن عثمان المكي في كتابه الذي سماه "التعرُّف بأحوال العبَّاد والمتعبدين" قال :باب ما يجيء به الشيطان للتائبين وذكر أنَّه يوقعهم في القنوط ثم في الغرور وطول الأمل ثم في التوحيد فقال : من أعظم ما يوسوسُ

---

١ - النووي ، يحيى بن شرف أبو زكريا (ت ٦٧٦ هـ) ، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ، ج:٢، ص (١٥٥/١٥٦).

٢ - ابن أبي العز ، علي بن علي (ت ٧٩٢هـ) ، **شرح العقيدة الطحاوية** ، ط٤، المكتب الإسلامي – بيروت ، ١٣٩١هـ ، ص (٢٨٨).

٣ - ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) ، **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطِّلة والجهمية** ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م ،ص (١٧٣).

في التوحيد بالتشكيك أو في صفات الربِّ بالتمثيل والتشبيهِ أو بالجَحْدِ لها والتعطيل فقال بعد ذكر حديث الوسوسة: واعلم رحمك الله أنَّ كل ما توهمه قلبك أو سنح في مجاري فكرك أو خطر في معارضات قلبك من حسن أو بهاء أو ضياء أو إشراق أو جمال أو سنحَ مسائل أو شَخصَ متمثِّلٌ فالله تعالى بغير ذلك بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر.. فإن اعتصمت بها وامتنعت منه أتاك مِن قِبَلِ التعطيل لصفات الرب تعالى وتقدس في كتابه وسنة رسوله محمدﷺ فقال لك: إذا كان موصوفا بكذا أو وصفته أوجب له التشبيه فأكْذِبْهُ ؛لأنَّه اللعينُ إنما يريدُ أن يستزلكَ ويغويك ويدخلك في صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالى " [١]

قلتُ : إنَّه إذا عُلم أنَّ الامتناع عن تنفيذ ما تمليه الوسوسة على المرءِ هو صريح الإيمان ومحضُ الإيمان، فكذلك الوسوسة أيضا هي برزخٌ بين الشكِ واليقين والبرزخُ: " هو ما بين كلِّ شيئينِ " [٢] حكى الإمام ابن عبد البر قال : " وسُئِلَ ابنُ مَسْعُودٍ عَنْ الوَسْوَسَةِ فقَالَ : هيَ:بَرْزَخٌ بَيْنَ الشَّكِ وَاليَقِيْنِ " [٣] وجاء في رواية عند الحكيم الترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ : " حيثُ سُئِلَ عنِ الوَسْوَسَةِ فَقَالَ : ذَاكَ بَرَازِخُ الإِيْمَانِ " [٤] وعلقَ الحكيم الترمذي على ذلك بقوله : " أحكم الله تعالى الإيمان في قلوب من اجتباهم وهداهم وأبرز أسماءهم بالسعادة في اللوح المحفوظ وأخرجهم يوم الميثاق في أصحاب اليمين وفزَّع الشيطان مِن أن يوسوس إليهم في توحيدهم ما يبطله عنهم وكيف يجوز ذلك وقد أخذ الله بقلبه وناصيته وفي قلبه نورهُ فكيف يقوم العدو لنوره حتى يطفئه ؛ إذ ليس أحد ينشرح صدره بالله تعالى وبالنطق بلا إله إلا الله إلا بمنَّة الله عليه فلن يسلط عليه العدو حتى يبطله، والله ﷻ أكرم مِن أن يرتجِعَ في منته ويسلط عليه العدو... والقلب هو البضعة الباطنة والبضعة الظاهرة يقال لها فؤاد وفيها العينان والأذنان والقلب يقلبه الله تعالى ولم يَكِلْهُ إلى أحد ولم يطلع عليها أحدًا من خلقه وإنما سلطان الشيطان في الصدر؛ لأنه بيت

---

١ - ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ) ، **مجموع الفتاوى** ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ،د.ط ، مكتبة ابن تيمية ، د.م ، د.ت ، ج:٥، ص (٦٢/٦٢) .

٢ - ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج:٣، ص (٨) ، مادة (بَ رْ زَ خَ).

٣ - ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ) ، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط١، دار الجيل – بيروت ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م ، ج:٣، ص (١١٠٩) .

٤ - الترمذي الحكيم ، محمد بن علي (٣٣٥ هـ) ، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول** ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، ط١، دار الجيل – بيروت ،١٩٩٢م ، ج:٣، ص (٥٩).

القلب والنفس معدنُ الشهوات قال تعالى ﴿ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ ؛ فالشيطان يزين ويشير ويمني ويُحْدث في صدور الناس الشهوة التي في النفس حتى يضلّه ويفتنه وليس يجد المؤمن في نفسه شهوة الكفرِ ؛ لأن الله تعالى نزعه بإيصال الإيمان إلى حبَّة قلبه، ثم بقي شهوة الأشياء في قلبه ثمَّ حرم وأحل ليُبْلغَهُ بالمجاهدة في هذه الشهوات فإذن المؤمن قد حلاه الله تعالى بالإيمان وطهره وطيبه وزين قلبه وليس للكفر شهوة في النفس حتى يدخل الشيطان فيه بظلمته فيزين له الشرك حتى يفسد توحيده ولا له إليه سبيل ؛ فإذا وسوس في صدره أنكر القلب بما فيه من النور وإنكاره محض الإيمان ؛ لأنه اهتاج فاستتار وصار كجمرة قد علاها الرماد لخمودها فلا تكاد تضيء مما علاها فوصلت إليه نفحة فطار عنها رمادها فتوقدت وتلظت واستضاء البيت بتوقده فازدادت تلك الجمرة فصارت محضة لما طار عنها الرماد" [1].

١ - الترمذي الحكيم ، محمد بن علي (٣٢٥ هـ) ، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول** ، ج:٢، ص (٥٨).

المبحث الرابع : الوسوسة في النية

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب ﷺ قَالَ : "سَمِعْتُ رَسُولَ ﷺ يَقُولُ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " (١).

اعلم أنَّ النية روحُ الأعمالِ والمَدْخلُ الذي تدخلُ به ومنه النُّفوس إلى مَقاصِدِ الأقوالِ والأفعالِ والتقريراتِ المُنبَثِقةِ عنها ، والنيَّة وإنْ كان معناها القصدُ إلى الشيء والعزم عليه غيرَ أنَّ بها أطيافا روحانية فريدة :-

أولاها : أنَّ النية ضابطة لاختلاجاتِ النَّفس وما يعصِف في خضمٍّ بحورها من أعاصير الشيطانِ الوسواسية التي يختلط فيها صالحُ المقصد وفاسدهُ .

ثانيها : أنها ميزان نفسي تنقادُ وفقه الإرادات وتقومُ عليه العَزَمات في الأمور كلها.

ثالثها : تشكلُ النيَّة إنارة قلبية ويقظة عقلية ولمسة سلوكية لدى المرء فمنْ تعرَّض للإنارة وانبسطتْ في ثنايا نفسه تولَّد عنه قلب بصير بمدارك الأحوال متحفزٌ نحو مَراتِبِ الكَمالِ ومَنْ توافقَ ذلك عنده عالجَته اليقظة العقلية فتولَّدتْ من ذلك العقلية اليَقِظَةُ ، واعلم أنَّ اليقظة على نوعين : يقظة ظاهر ، ويقظة باطن ؛ فيقظة الظاهر مخصوصة بالجوارح الحسية وأمَّا يقظة الباطن فهيَ يقظة الحس والشعور وهي وإن كانت مخصوصة فيهما غيرَ أنَّ لها صفة الامتداد لتغذي بدورها الجوارح وتسهم في قيادها نحو آفاق الاستقامة ، وفي النية تتفاعل الإحساسات والتوجهات التي تكون على شكل رموز في طيات النفس مشتتة الاتجاهات ، فتأتي النية لتضبط إيقاع هذه الإشارات والرموز وتفرزَ بدورها بناء على المعطيات التي حوتها القرارات الصادرة عن مركز النفس والتي تتوزع مهامها على الجوارح فتصدرُ منها الأفعال على الغالب وقد تَقدَّمُها الأقوالُ والإيماءات ، أمَّا لمسة السلوك ففيها تفصيل مِن وجهين :

الوجه الأول : أنَّ النية تُحدِّدُ معالمَ السلوكِ وتشي بلمساتهِ وإذا فهمتَ ذلكَ فاعْلَمْ أنّ النية هي مفتاح القلب ؛ لأنَّ الأعمال في صورها تختمر في حُجُرات القلب ، فيأتي بارق العقل

---

١ - البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) ، **الجامع الصحيح** ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، ط٣، دار ابن كثير ، اليمامة –بيروت ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ،كتاب بدء الوحي ، باب : كيف كانَ بدءُ الوحي إلى رسول الله ﷺ ، ج: ١، ص (٣) حديث رقم (١).

ليرى صور الأعمال قبل انطباعها على هيئة صورٍ واقعية ؛ بصرية أو سمعية أو لسانية أو حركية ؛ فإذا كان البارق العقلي قد رضعَ لبان الفطرة السوية وتنسَّم روائح السداد والتوفيق الربانية استطاع أن يُمايز غثها مِنْ سمينها وصالحها مِنْ طالحها .

<u>الوجه الثاني</u>: أنَّ السلوك لمَّا خضع لقيادة النيَّة وصار مُؤتَمِرًا بأوامرها لزمَ عندها القول إنَّ مُخرَجَاتِ السلوكِ هي الأخرى منضوية تحت تلك القيادة التي هي القلب واعلم أنَّ النية تنقسم إلى قسمين :

<u>القسم الأول</u> : النية الأصلية وهي تشتملُ على عدَّة أمور هي :

١- اليقين : وبه يزول الشك والتردد.

٢- الثقة :وبها يصفو التوكل لدى العبد .

٣- الإخلاص :وبه يموت رأس العُجب والرياء في النفوس .

ولهذا لمَّا تحققت هذه الأمور مجتمعة في نفس سيدنا إبراهيم عليه وعلى سيدنا محمد أزكى الصلاة والتسليم خاطبه الله بقوله : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام : ١٦٢و١٦٣] وعليه فالنية التي كانت قائمة عند سيدنا إبراهيم عليه السلام هي نية أصلية تحصَّل فيها اليقين والثقة والإخلاص.

<u>القسم الثاني</u> : النية الزائفة ويكون فيها طغيان المفاسد على الصَّلاح واقتحام للقلب وقتل للنية الأصلية أو تشويهها ولهذا قال الحقُّ عز وجل ينعى على المنافقين خسَّة نيَّتهم التي تشوهت بفعل الختم على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٧] فإذا خُتمَ على القلبِ وَعشْعشتِ فيه مفاسد النوايا وقبائح التصورات بسبب وساوس الشيطان صار القلبُ معتلا مريضا ولهذا قال الله تعالى ﴿ **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ [البقرة: ١٠] .

إذا وقفنا على حقيقة النية وأقسامها لزم أنْ نبين أثر الوسوسة الشيطانية فيها فنقول: وصورة ذلك شعور المرء بثقل النية ومبالغته في استحضارها القلبي والعقلي واللساني في الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من العبادات حداً يجعله يتوسوس ويبقى مضطرب النفس مهزوزا مكتئبا ولذلك صورٌ متعددة أبرزها :

١- وسوسة الصيغة اللفظية والتقلُّبُ فيها : فإذا قام إلى الوُضُوءِ فقال : بسم الله نويت الوضوء وغسل يديه داخله وسواس شيطاني أنَّ نيتك فيها خلل إذ لا بدَّ أن تكون :بسم الله الرحمن الرحيم نويتُ أن أتوضأ ثمَّ ما إنْ يفرغ مِن يديه حتى يأتيه وسواس يقول له ليسَ صحيحا أنْ تقولَ نويتُ أنْ أتوضأ بل قل : نويتُ فرائض الوضوء أو نويت الوضوء للصلاة ظنا منه أنَّ هناك وضوء للصلاة وآخر للقرآن وربما بلغَ به الأمر أنْ يقول : نويتُ فرائض الوضُوء لصلاة الفجر أو الظهر أو العصر... وكذا ينسحبُ الأمر على الصلاة؛ فحين يقف يرفع يديه ويقول نويتُ صلاة الظهر يداخله وسواسٌ بعد دخوله في الصلاة أو قبل ذاك أنَّ نيتك ليست صحيحة بل عليكَ أنْ تقول : نويت صلاة أربع ركعات فرض الظهر أو فرض الظهر دون ذكرِ عدد الركعات أو أصلي أربع ركعات بدل لفظة صلاة... وكذا الحال إذا أراد الصوم قال: نويتُ الصوم فيوسوس له إبليس قائلا الصوابُ أن تقولَ: نويتُ الصيامَ لا الصومَ أو نويتُ نفلَ الصوم لتمييزه عن الفرضِ أو نويتُ أنْ أصوم اليوم وقد يسميه فيقول الإثنين .. الخميس ... إلخ وليس الأمر ببعيد عن الزكاة والحَجِّ ؛ فقد يهمُّ أحدهم بإخراج الزكاة وعند توزيعها تأسره النية فيقف جامدا فيقول نويت إخراج زكاة المال أو مالي أو الأموال أو أن أزكّي أو أخرجَ زكَاةَ مالي وإذا قصد الحجَّ شغلته صيغة النية بفعلِ الوسواسِ فربما قالَ نويتُ الحجَّ فيوسوس له إبليسُ : إنما الصوابُ نويتُ أنْ أحجَّ أو أداء مناسِكِ الحج أو اللهم أهللتُ لك بالحجِّ وغير ذلك من الصيغ التي تجعل المرء يعيش رعبا وقلقا بدل السَّكينة والطمأنينة والارتياح .

٢- تكرير نطق الألفاظ مرات عديدة : فقد يقع هذا ممن داخله الوسواس في ألفاظ النية التي تقدمت أو في الفاتحة وما يقرؤه من آي القرآن أو في التشهد أو التكبير ، بل قد يحصلُ ذلكَ التكرير في الحروف أو الجُمَل والعبارات ... فيفسد المُوَسْوَسُ صلاته بتكرير الكلمة كقوله التحيات .. التحيات ... أو تكريرِ بَعْضِ الكلمة مثل أتْ أتْ التَّحي أو أس أس السلام أو تكرير بعض الحروف كنحو قوله في التكبير أكككبر وكلفظه كلمة إياكَ : إيا ككلك أو كككلك ... وغير ذلك من التكريرات وهذهِ الصورة أنكا مِن سابقتها وأعظم قبحا ؛ لأنها تذهب بهيبة العبادة وتفسدها وتبطلها وتقود فاعلها إلى اللكنة وإطاعة الشيطان وتغليب طاعته على طاعة الله تعالى وتحويل العبادة من قربة إلى مَبْعِدَة ،كما ويؤدي صنيعهُ إلى إيذاء السامعين له فيذهب بخشوعهم إن كان الأمر صلاة جماعة ويغريهم به ويشتمونه وينعتونه بأقبح

الأوصاف ويجلب لنفسه مخالفة السنة النبوية وارتكاب مُحدثات الأمور والافتتان والخروج عن منهج الله يقول الله تعالى في ذلك : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

٣- الانشغال بزمان ومكان وهيئة النية : فيُرى أحدُ المُوَسْوَسِيْنَ ينصرف عن العبادة الأصلية كالصلاة مثلا ؛ فإذا نوى الصلاة ودخل فيها داخله الوسواس يقول له : هل نويتَ قبلَ أن ترفع اليدين حذو المنكبين أم عند رفعهما أم بعد رفعهما وخفضهما ؟ أو يقولُ له : هل نويت الوضُوءَ عندَ غسلِ اليدين أو عندَ غسل الوجه ؟ أو لعلّك لم تأتِ به إطلاقا أو لعلك أتيتَ بجزء مِنَ النيَّة ؟ وقد يخيَّل لمَنْ حالهُ كذلكَ أنَّ النحنحة ذهبت بالنية أو العطاس أو الشهيق والزفير فتراهُ متشنجا متخشبا كأنَّ على رأسهِ الطير .

هذه الصور الثلاثة هي أبرز ما يعتري المرءَ من الوسوسة الشيطانية في ميدان النية .

<u>إيقاظ مهم جدًا</u> :

إنَّ من القضايا القديمة الجديدة التي تطفو على السطحِ في مساجدنا وتوقد النار في الهشيم ويبدِّع المسلمونَ بعضهم بعضا بها هذه الأيام قضية التلفظ بالنية عند الوضوء وعند التيمم وعند الصلاة وسائر العبادات ؛ فيذهبُ العلامةُ الفهَّامة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وقبلهما ابن الجوزي – يذهبون إلى أنَّ التلفظ بالنية أمر مردود لم يشهد له القرآن الكريم ولا صحيح الحديث أو ضعيفه وعدُّوا أنَّ ذلك من المحدثات وأنّه بدعة يقول ابن الجوزي : " تلبيسه عليهم في نية الصلاة فمنهم من يقول أصلي صلاة كذا ثم يعيد هذا ظنا منه أنه قد نقض النية والنية لا تنقض وإن لم يرض اللفظ ومنهم من يكبر ثم ينقض ثم يكبر ثم ينقض فإذا ركع الإمام كبر الموسوس وركع معه فليت شعري ما الذي أحضر النية حينئذ وما ذاك إلا لأن إبليس أراد أن يفوته الفضيلة وفي الموسوسين من يحلف بالله لا كبرت غير هذه المرة وفيهم من يحلف بالله بالخروج من ماله أو بالطلاق وهذه كلها تلبيسات إبليس والشريعة سمحة سهلة سليمة من هذه الآفات وما جرى لرسول الله ولا لأصحابه شيء من هذا ...

وكشف هذا التلبيس أنْ يقال للموسوس إن كنت تريد إحضار النية فالنية حاضرة لأنك قمت لتؤدي الفريضة وهذه هي النية ومحلها القلب لا اللفظ إن كنت تريد تصحيح اللفظ فاللفظ لا يجب ثم قد قلته صحيحا فما وجه الإعادة أفتراك تظن وقد قلتَ إنك ما

قلتَ، هذا مرض "[١] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " والإنسان قد يكون في قلبه معارف وإرادات ولا يدري أنها في قلبه فوجود الشيء في القلب شيء والدراية به شيء آخر ولهذا يوجد الواحد من هؤلاء يطلب تحصيل ذلك في قلبه وهو حاصل في قلبه فتراه يتعب تعبا كثيرا لجهله وهذا كالموسوس في الصلاة فإن كل من فعل فعلا باختياره وهو يعلم ما يفعله فلا بد أن ينويه ووجود ذلك بدون النية التي هي الإرادة ممتنع فمن كان يعلم أنه يقوم إلى الصلاة فهو يريد الصلاة ولا يتصور أن يصلي إلا وهو يريد الصلاة فطلب مثل هذا لتحصيل النية من جهله بحقيقة النية ووجودها في نفسه وكذلك من كان يعلم أن غدا من رمضان وهو مسلم يعتقد وجوب الصوم وهو مريد للصوم فهذا نية الصوم وهو حين يتعشى يتعشى عشاء من يريد الصوم ولهذا يفرق بين عشاء ليلة العيد وعشاء ليالي شهر رمضان فليلة العيد يعلم أنه لا يصوم فلا يريد الصوم ولا ينويه ولا يتعشى عشاء من يريد الصوم وهذا مثل الذي يأكل ويشرب ويمشي ويركب ويلبس إذا كان يعلم أنه يفعل هذه الأفعال فلا بد أن يريدها وهذه نيتها فلو قال بلسانه أريد أن أضع يدي في هذا الإناء لآخذ لقمة آكلها كان أحمق عند الناس فهكذا من يتكلم بمثل هذه الألفاظ في نية الصلاة والطهارة والصيام ومع هذا فتجد خلقا كثيرا من الموسوسين بعلم وعبادة يجتهد في تحصيل هذه النية أعظم مما يجتهد من يستخرج ما في قعْر معدته من القيء أو من يبتلع الأدوية الكريهة "[٢] وقال ابن القيم في كتابهِ " إغاثة اللهفان " : النية هي القصد والعزم على فعل الشيء ومحلها القلب لا تعلق لها باللسان أصلا ولذلك لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه في النية لفظ بحال ولا سمعنا عنهم ذكر ذلك وهذه العبارات التي أحدثت عند افتتاح الطهارة والصلاة قد جعلها الشيطان معتركا لأهل الوسواس يحسبهم عندها ويعذبهم فيها ويوقعهم في طلب تصحيحها فترى أحدهم يكررها ويجهد نفسه في التلفظ بها وليست من الصلاة في شيء وإنما النية قصد فعل الشيء فكل عازم على فعل فهو ناويه لا يتصور انفكاك ذلك عن النية فإنه حقيقتها فلا يمكن عدمها في حال وجودها ومن قعد ليتوضأ فقد نوى الوضوء ومن قام ليصلي فقد نوى الصلاة ولا يكاد العاقل يفعل شيئا من العبادات ولا غيرها بغير نية فالنية أمر لازم لأفعال الإنسان المقصودة لا يحتاج إلى تعب ولا تحصيل ولو

---

١ - ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧ هـ) ، **تلبيس إبليس** ، تحقيق : السيد الجميلي ، ط١، دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٤٠٥هـ –١٩٨٥،ج:١، ص (١٧٠) .

٢ - ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ) ، **منهاج السنة** ،تحقيق: محمد رشاد سالم ، ط١، مؤسسة قرطبة ، دم ، ١٤٠٦هـ ، ج:٥، ص (٣٩٨/٣٩٩).

أراد إخلاء أفعاله الاختيارية عن نية لعجز عن ذلك ولو كلفه الله ﷻ الصلاة والوضوء بغير نية لكلفه ما لا يطيق ولا يدخل تحت وسعه وما كان هكذا فما وجه التعب في تحصيله وإن شك في حصول نيته فهو نوع جنون فإن علم الإنسان بحال نفسه أمر يقيني فكيف يشك فيه عاقل من نفسه ومن قام ليصلي صلاة الظهر خلف الإمام فكيف يشك في ذلك ولو دعاه داع إلى شغل في تلك الحال لقال إني مشتغل أريد صلاة الظهر ولو قال له قائل في وقت خروجه إلى الصلاة أين تمضي لقال أريد صلاة الظهر مع الإمام فكيف يشك عاقل في هذا من نفسه وهو يعلمه يقينا... وقال ابن القيم : قال شيخنا (ابن قدامة المقدسي) :ومن هؤلاء من يأتي بعشر بدع لم يفعل رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه واحدة منها فيقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم نويت أصلي صلاة الظهر فريضة الوقت أداء لله تعالى إماما أو مأموما أربع ركعات مستقبل القبلة ثم يزعج أعضاءه ويحني جبهته ويقيم عروق عنقه ويصرخ بالتكبير كأنه يكبر على العدو ولو مكث أحدهم عمر نوح عليه السلام يفتش هل فعل رسول الله ﷺ أو أحد من أصحابه شيئا من ذلك لما ظفر به إلا أن يجاهر بالكذب البحت فلو كان في هذا خير لسبقونا ولدلونا عليه فإن كان هذا هدى فقد ضلوا عنه وإن كان الذي كانوا عليه هو الهدى والحق فماذا بعد الحق إلا الضلال "[1].

قلتُ : إنَّ التلفظ بالنية أول العملِ واستصحابَها حكما في جزئيات العمل هو أمر مشروع وليس يسمى التلفظ بالنيَّة في حدِّ ذاته بدعة أو وسوسة ولكنَّ خروجَ المُتلفِّظ بها إلى النمطية الوسواسية الهستيرية – كما وضَّحنا آنفا - هو المرفوظ المردود ؛قال الإمام ابن حجر : " اختلف الفقهاء في النية هل هي ركن أو شرط والمرجَّح أن إيجادها ذكرا في أول العمل ركن واستصحابها حكما بمعنى أن لا يأتي بمناف شرعا شرطٌ "[2].

هذا وقد يقول أحدهم: إنَّ معنى قول ابن حجر (ذكرًا)أي استحضارا ، فالجواب عن ذلك : أنَّ هذا تكلف فالذكر هنا هو التلفظ واستصحاب النية حكما هو الاستحضار والله أعلم .

واعلم أنَّ الرسول الكريم ﷺ حينَ حجَّ قد أهلَّ بالحجِّ وحينَ نحرَ نوى نية ذبح الأضحيَّة ؛ أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين ﵂ : " قالتْ :قالَ رَسُولُ

---

١ - ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) ، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** ، ط٢، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩٥هـ ، ص (١٣٦- ١٣٩) .

٢ - ابن حجر ، أحمد بن علي (٨٥٢ هـ) ، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، ج:١، ص (١٠) .

اللَّهِ ﷺ : مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يُهِلَّ بِعُمْرَةٍ فَلْيُهِلَّ فَلَوْلَا أَنِّي أَهْدَيْتُ لَأَهْلَلْتُ بِعُمْرَةٍ قَالَتْ: فَكَانَ مِنَ الْقَوْمِ مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ وَمِنْهُمْ مَنْ أَهَلَّ بِالْحَجِّ "[١] وأخرجَ مسلم أيضا عن عائشة ﷺ قالت : " ... وأَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضْجَعَهُ ثمَّ قالَ : باسمِ الله اللَّهمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّدٍ وَمِنْ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ،ثمَّ ضحَّى به " [٢].

وكذا مَنْ نذرَ نذرا فقال : إنْ شفى الله فلانا لأذبحنَّ كبشا أو لأتصدقنَّ بكذا وكذا .. فمثل هذا تلفظ بالنية من قبل الناذر فهلْ يقال بعدها :إنَّ التلفظ بالنية لا أصلَ له في جميع العبادات .

واعلمْ أنه قد يعترضُ أحدهم فيقول: ما ذكرَ صحيح هو تلفظ بالنية وهو محصور في الحج والعمرة والأضحية والنذر ولا يصحُّ أنْ نقيسَ عليه سائر العبادات من طهارة وصلاة وصيام ..؛ لأنه لا قياس في العبادات.

قلتُ : إنَّ رسول الله ﷺ قد قاس الصيام على الدين والحجَّ على الدين عندما سئل عن ذلك :أخرج مسلم في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ فَقَالَ :أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتِ تَقْضِينَهُ ؟ قَالَتْ :نَعَمْ .قَالَ فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ " [٣].

وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: " أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ : إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ أَفَأَحُجَّ عَنْهَا ؟ قَالَ: نَعَمْ .حُجِّي عَنْهَا –أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟ قَالَتْ :نَعَمْ فَقَالَ :اقْضُوا اللَّهَ الَّذِي لَهُ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ " [٤] قال الحافظ ابن حجر : " فيه مشروعية القياس وضرب المثل ليكون أوضح

---

١ - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الحج ، باب : بيان وجوه الإحرام ، ج:٢، ص (٨٧٢) حديث رقم (١٢١١).

٢ - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الأضاحي ، باب : استحباب الضحيّة وذبحها مباشرة ، ج:٣، ص (١٥٥٧) .

٣ - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الصيام ، باب : قضاء الصيام عن الميت ، ج:٢، ص (٨٠٤) حديث رقم (١١٤٨) .

٤ - البخاري ، **البجامع الصحيح** ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب :من شبه أصلا معلوما بأصل مبين وقد بين النبي ﷺ حكمهما ليفهم السائل، ج:٦، ص (٢٦٦٧) حديث رقم (٦٨٨٤) . وأخرجه البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الحج ، باب: الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة ، ج:٢، ص (٦٥٦) .

وأوقع في نفس السامع وأقرب إلى سرعة فهمه وفيه تشبيه ما اختلف فيه واشكل بما اتفق عليه وفيه أنه يستحب للمفتى التنبيه على وجه الدليل إذا ترتبت على ذلك مصلحة وهو أطيب لنفس المستفتي وادعى لإذعانه وفيه أن وفاء الدين المالي عن الميت كان معلوما عندهم مقررا ولهذا حسن الإلحاق به وفيه إجزاء الحج عن الميت "[1].

قلتُ : قد يقول أحدهم : إنَّ القياس النبوي كان للحج على الدَّين بجامع المالية بينهما وبالتالي لا يسلم الدليل . والجواب : إذا كان توجيه المسألة هكذا فهل الصيام في ذاته عبادة مالية أو بدنية ؟!!

اعلمْ أنَّ مَن رأى التلفظ بالنية لم يجزه من باب كونه واجبا أو شرطا ؛ وإنما لكونه آكد في تقرير النية يقول أبو إسحاق الشيرازي صاحب المهذب : " ويجبُ أن ينويَ بقلبِهِ ؛ لأنَّ النية هي القصد ، تقولُ العربُ : نواكَ اللّه بحفظه ، فإنْ تلفَّظ بلسانهِ وقصدَ بقلبِهِ فهو آكدُ " قال النووي الشافعي في المجموع تعليقا على كلام الشيرازي : " النية الواجبة في الوضوء هي النية بالقلب ولا يجبُ اللفظ باللسانِ معها ، ولا يُجزئُ وحدَه وإنْ جمعها فهو آكدُ وأفضل ، هكذا قاله الأصحاب واتفقوا عليه "[2].

قلتُ : إذا كان الأمر هكذا وأنَّ التلفظ بالنية ليس بواجب كما صرح الإمامان الجليلان الشيرازي والنووي ، فعَلامَ يقال عنها بدعة وأن مَن يصنعها مبتدع ؟!!أتُرى الشيرازي والنووي مبتدعين حينما قررا أن الإتيان بها آكد وأفضل ؟!!

إنَّ كثيرين يفهمونَ أنَّ البدعة فعل ما لم يفعلهُ النبي ﷺ أو يأمر بفعله حتى وإن لم ينه عنه الرسول ﷺ، وهذا الإطار في فهم البدعة فضفاضٌ واسعٌ يوقعُ الأمّة في الضيق والحرج ؛ إذ الأصل في الأشياء الإباحة حتى يقومَ الدليل على تحريمها أو كراهتها والمهمُّ والأهمُّ أنَّ العبد حين يقوم بذلك الفعل الذي لم يأمر به الشارعُ أو ينه عنه لا يعزوه إلى فرض أو واجب وإنما هو أمر طيب مباح يقول الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح : " وقول عمر نعمتِ البدعة هو فعلُ ما لم يُسبق إليه فما وافق السنة فحسن وما خالف فضلالة وهو المراد حيث وقع ذم البدعة ، <u>وما لم يوافق ولم يخالف فعلى أصل الإباحة</u> "[3] وقال في الفتح :

---

١ - ابن حجر ، **فتح الباري** ، ج:٤، ص (٦٦).

٢ - النووي ، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) ، **المجموع شرح المهذب** ، د.ط ، دار الفكر ، د.ت ،ج:١، ص (١٧٢).

٣ - ابن حجر ، **هدي الساري مقدمة فتح الباري** ، ص (٨٥).

"والبدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة والتحقيق أنها إنْ كانت مما تندرج تحتَ مستحسن في الشرع فهي حسنة وإن كانت مما تندرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة وإلا فهي من قسم المباح "[1].

قلتُ : إذا كان ابن حجر رحمه الله يقرر هذا الكلام وهوَ مَنْ هُو في الفضل والعلم فلماذا ينشغلُ القوم بتبديع بعضهم فيما هو مباح ؟؟؟؟.

---

١ - ابن حجر ، فتح الباري ، ج:٤، ص (٢٥٣).

المبحث الخامس : الوسوسة في الطهارة (الوضوء والتيمم والغُسل).

إنهُ لمَّا كانتِ الطهارة هي أولُ مداخل اتصالِ المخلوق بخالقه – سبحانه وتعالى – فإنَّ الشيطانَ يَهْجمُ فيها بوسوسته ليقطع الطريق من أوله على عباد الله ؛ فقد أخرج الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه أثرا بإسناد صحيح عن إبراهيم التَّيمي أنه قال : " أوَّلُ مَاْ يَبْدأُ الْوَسْوَاسُ مِنَ الْوُضُوءِ " [١] وأخرجَ أيضا أثرا آخرَ بإسنادٍ صحيح عن ابن فُضيل عن حُصين عن هلال بن يَساف قال : كان يقال: " فِي الْوُضُوْءِ إسْرَاْفٌ وَلَوْ كُنْتَ عَلَىْ شَاْطِئِ نَهْرٍ " [٢].

قلتُ : يبدو أنَّ ظاهرةَ الوسواسِ في الماء كانتْ محطّ أنظار بعضِ العلماء ينبّهون عليها في تراجم بعضِ الشخصيّات البارزة فقد حكى الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة الإمام الكبير ابن سيرين أنه كانَ مصابا بوسواسِ الوضوء قال : " كان مشهورا بالوسواس قال مهدي بن ميمون :رأيتُهُ إذا توضأ فغسلَ رجليه بلغ عضلة ساقيه " [٣] وقال ابن القيسراني في ترجمة ابن دقيق العيد : " وكان في أمر الطهارة والمياه في نهاية الوسوسة "وفي

---

١ - ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥ هـ) ، **المصنف** ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط١، مكتبة الرشد – الرياض ، ١٤٠٩ هـ ، ج:١، ص (٦٧) برقم (٧٢٥) .

قلتُ : ورد حديث في تسمية وسواس الوضوء وأنه " الولهان " وقد رأى المحققون من أهل الحديث أنَّ هذا الحديث لا يصح يقول الترمذي فيه : " حديث أبي بن كعب حديث غريب وليس إسناده بالقوي والصحيح عند أهل الحديث؛ لأنا لا نعلم أحدا أسنده غير خارجة وهو ليس بالقويِّ عند أصحابنا " الترمذي ، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ) ، **الجامع الصحيح** ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، د.ط ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د.ت ، كتاب الوضوء عن رسول الله ﷺ ، باب: ما جاء في كراهية الإسراف في الوضوء بالماء ، ج:١، ص (٨٥) حديث رقم (٥٧) .

٢ - ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥ هـ) ، **المصنف** ،ج:١، ص (٦٧) حديث رقم (٧١٨) .

قلتُ : أمَّا حديث عبد الله بن عمرو أنَّ النبي ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد؟! قال : وفي الوضوء إسراف؟ قال: نعم .وإنْ كنتَ على نهرٍ جار " **فهو حديث ضعيف** ؛ إذ مدارهُ على ابن لهيعة وهو مشهور بالضعف عند المحدّثين.

٣ - الذهبي ، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) ، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، ط٩، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤١٣ هـ ، ج:٤، ص (٦١٨) .

ترجمة العلامة كمال الدّين أبو هاشم المعروف بابن العجمي (ت ٦٤٢هـ) قال الذهبي عنه : " وكان ذا وسواسٍ في المياه " [١].

وساق الحافظ زين الدين العراقي قصة في الوسوسة وقَعتْ معَ أحدِ أشياخهِ فحدّثهُ بها قال العراقي : " حكى لي صاحبنا الشيخ الإمام القدوة شمس الدين محمد بن صدِّيق الجَنَاني رحمه الله ورضي عنه قال : " كنتُ في المسجد الحرام فرأيتُ رجلا بال في المسجد فتغيَّظتُ عليه وزدت في تعنيفه ، ثم ألزمته أنْ حَمَلَ ذلك الحصباء الذي تنجس ببوله في ثوبه حتى أخرجه من المسجد ؛ لأنه كان في زحمة الموسم فخشيت أن يطأه الناس ويتنجسوا به قبل تطهيره قال : ثم تذكرت قوله ﷺ : لا تزرموه [٢] " فندمت على إفحاشي عليه وربما كان جاهلا أو سبقه بغير اختياره قال : فابتليتُ في ذلك اليوم بأنْ سبقني البول في إزاري وردائي وأنا محرم وكان عنده تحرز في الطهارة ، وربما جاوزها إلى الوسوسة قال فخرجت من المسجد وبقيت حائرا أين أتطهر وأطهر إحرامي مع اجتماع الناس وكثرتهم على المياه بمكة فذهبت إلى سواقي باب المعلى ، والزحام عليها فاستقبلني رجل من السقّايين الذين في الركب لا أعرفه ولا أذكر أني رأيته قبل ذلك فقال لي: أهلا وسهلا بحبِّنا الموسوس كأنك تريدُ تتطهر ؟ فقلت له : نعم فأعطاني شيئا استترتُ به ، ثم نزع إزاري وردائي ودعا صبيانه فأمسكَ بعضهم الإزار والرداء وأمر بعضهم فطهر بدنه وأفرغ بالدلو من ماء كثير عليهما حتى طابت نفسي بتطهيرهما ووقف الصبيان بهما في الهواء حتى جفّا وأمرهم فصبوا علي حتى طابت نفسي بحصول الطهارة ، ثم ألبسوني إحرامي وقال لي: آنستنا اليوم ورحب بي فصرت متعجبا من وقوع مثل هذا من هذه الطائفة وعلمت أن ذلك بندمي على إفحاشي على الذي سبقه البول في المسجد الحرام" [٣].

---

١ - ابن القيسراني ، محمد بن طاهر (ت ٥٠٧هـ) ، **تذكرة الحفاظ** ، تحقيق: حمدي السلفي ، ط١، دار الصُميعي – الرياض ، ١٤١٥هـ ، ج:٤، ص (١٤٨١) . الذهبي ، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) ، **سير أعلام النبلاء** ،ج:٢٣، ص (١١٥).

٢ - أي : لا تقطعوا عليه بوله . انظر : ابن الأثير ، **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، ج:٢، ص (٣٠١).

٣ - العراقي ، زين الدين عبد الرحيم (ت ٨٠٦هـ) وإكمال ولده ولي الدين أبو زرعة العراقي ، **طرح التثريب في شرح التقريب** ، خرّج أحاديثه ووضع هوامشه عبد القادر محمد علي ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م،ج:١،ص (١٢٧/١٢٨).

إيقاظ مهم جدًا :

إنَّ مما ينبغي التنبّه إليهِ في مقام الطهارة أنَّ المرء قد يبالغُ في الطهارة وقصدهُ الاحتياط في درء النجاسة عنه وهذا شيء مندوب مطلوب من المكلفين غير أنَّ الأمرَ إذا خرجَ عن حدِّ الاحتياط صار ذلكَ وسوسة تبثُّ الاضطرابَ في هيكلية الطهارة وتخرجُها عن معناها ، حكى الإمام النووي : " استحباب الاحتياط في العبادات وغيرها بحيث لا ينتهي إلى الوسوسة... أبي محمد الجويني (ت ٤٣٨هـ) كتابُ " التبصرة في الوسوسة " [١]. وهو كتابٌ نافع كثير النفائس واشتدَ إنكار الشيخِ أبي محمد في كتابهِ هذا على مَن لا يلبَسُ ثوبا جديدًا حتّى يغسِلَه لِما يقع ممَّن يُعاني قصرَ الثياب (صباغتها) وتجفيفها وطيّها من التساهلِ وإلقائها وهي رطبةٌ على الأرضِ النّجسة ومباشرتها لها يغلبُ على القلبِ نجاستهُ ولا يغسِل بعد ذلكَ وقال :وهذه طريقةُ الحروريَّة الخوارج ابتلو بالغلوِّ في غيرِ موضعهِ وبالتساهل في موضعِ الاحتياط ، ومَن سلكَ ذلكَ فكأنّه يعترضُ على أفعالِ رسولِ الله ﷺ والصحابةِ والتابعينَ وسائرِ المسلمين فإنهم كانوا يلبسونَ الثيابَ الجديدة قبلَ غسلها وَحالُ الثيابِ في ذلكَ في أعصارِهم أن يُصيبها مثلُ هذه النجاسةِ المتوهَّمة ، فإنْ قلتَ: أنا أغسلها بنفسي فهل سمعتَ في ذلكَ خبرا عن رسولِ الله ﷺ أو عَنْ أحدٍ من الصحابة أنّهم وجّهوا على الإنسانِ على سبيلِ الإيجابِ أو الندبِ والاحتياطِ غسلَ ثوبهِ بنفسهِ احترازا مِن أوهامِ النّجاسةِ ؟! ثم قال الجويني : نبغَ قوم يغسِلونَ أفواههم إذا أكلوا خبزا ويقولونَ الحنطةُ تُداس بالبقرِ وهي تبول وتروث في المداسة أياما طويلة ولا يكادُ يخلو طحين ذلك من نجاسة قال : وهذا مذهبُ أهل الغلو والخروج عن عادة السلف" [٢].

وحكى صاحب كتاب " مواهب الجليل " قال : " قال بعضهم : الوسوسَة بدعة أصلها جهلٌ بالسُّنّةِ أو خبال في العقلِ " وقال بعض مشايخ الصوفيّة: " لا تعتري الوسوسَة إلا صادقا ؛ لأنّه يُحْدِثُ مِن التّحفّظِ في الدين ولا تدومُ إلاَّ على جاهلٍ أو مهووس ؛ لأنَّ التّمسّكَ

---

١ - انظر : خليفة ، حاجي مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ) ، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، د.ط ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ، ج:١، ص (٣٣٩) قال حاجي خليفة :"هو في مجلد غالبُه في العبادات " قلت:لم أعثر عليه.

٢ - النووي ، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) ، **المجموع شرح المهذب** ، ،ج١، ص (٣٥١) **قلتُ** : وقد بسط النووي الكلام عن الفرق بينَ حدِّ الاحتياط وحد الوسوسة في كتابه المجموع شرح المهذّب **في باب الأنية** فانظره إنْ شئت الزيادة.

بها مِن اتباعِ الشياطين " [١] .وقال المناوي : " الوسوسة من آفات الطهارة وأصلها جهل بالسنة أو خبال في العقل ومتبعها متكبر مذل نفسه يسيء الظن بعباد الله معتمد على عمله معجب به وقوته وعلاجها بالتلهي عنها والإكثار من سبحان الملك الخلاق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز " [٢].

قلتُ : من خلال ما تقدّم يتبين لنا أنَّ المرء مطالب بالأخذِ بالاحتياط في عمل العبادة إذا قامَ عنده شك راجح عليه دليل في ذلكَ وهو خلاف الوسوسة التي هي شك كثير ليسَ عليه دليل .

هذا ومن الجدير بالذكر هاهنا أنَّ الوسوسة لا تقتصرُ في الطهارة على ميدانِ الوضوء بل تتعداه إلى ميدان التيمُّم فقد يبلغ حال المرء بالوسوسة أن يعفّر نفسه بالتراب وبرغم ذاكَ يظنُّ نفسه لم يأت بالتيمم على الوجه الصحيح ، والأمر ذاته قد يحصلُ في الغُسل فتجدُ الموَسْوَسَ يَهريق كمياتٍ كبيرة من الماء على جسمه وقد يبالغ في دلك جسمه حتى يَحْمَرَّ ونفسهُ تحَدِّثه وسوسة أنه لم يطهر .

قال النووي : قال إمام الحرمين الجويني : "... ولو أرادَ الإنسانُ طلبَ يقينِ الطّهارةِ فلا حرجَ بشرطِ أن لا ينتهي إلى الوسواسِ الذي يُنَكّدُ عيشه ويُكَدِّرُ عليه وظائف العبادات فإنَّ المنتهي إلى ذلك خارجٌ عن مسالكِ السّلف الصالحين قال : والوسوسة مصدرها الجهلُ بمسالكِ الشريعة أو نقصان في غريزة العقل " [٣].

---

١ - الرعيني ، الحطّاب (ت ٩٥٤هـ) ، **مواهبُ الجليل** ، تحقيق: زكريا عميرات ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، د.ت ، ج:١، ص (٣٧٢).

٢ - المناوي عبد الرؤوف (ت ١٠٣١ هـ) ، **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ، ط١ ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، ١٣٥٦هـ، ج:٢، ص (٥٠٣).

٣ - النووي ، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) ، **المجموع شرح المهذب** ، ج:١، ص (٢٠٧).

المبحث السادس : الوسوسة في الصلاة

إنه لمّا كانتِ الصلاةُ عمودَ الدينِ وصلةَ العبد بربِّهِ وحبلَ الله المتين وأوّلَ ما يُسألُ عنهُ العبدُ يومَ القيامة فإنَّ الشيطانَ يحرصُ كلَّ الحِرصِ على زعزعة المرء المسلم بما يُمليه عليه من الوسوسة بغية أنْ يصرفه عن هذا الشأن العظيم وقدْ عبّر القرآن عن ذلك على لسان إبليس ﴿ **قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٦ و١٧] قال الطبري : " قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فإنه يقول : لأجلسن لبني آدم صراطك المستقيم يعني طريقك القويم وذلك دين الله الحق وهو الإسلام وشرائعه وإنما معنى الكلام لأصُدَّن بني آدم عن عبادتك وطاعتك ولأغوينهم كما أغويتني ولأضلنّهم كما أضللتني "[1].

قلتُ : والصراطُ المستقيم يدخلُ فيه كلُّ عبادةٍ وكلُّ طاعة لله ﷻ وعلى رأس ذلك الصلاة ، ولمّا كانَ الخطّ المستقيمُ أقربَ شيء بين نقطتين ، فالشيطان اختارَ بخبثه أن يعمل بالإغواءِ على هذا الطريقِ ؛ لأن العبدَ يكون فيه أقربَ إلى مرضاةِ ربه وفضله وكرمه ورحمته... فيقصدُ الشيطان بوسوسته قطع الإمدادات ليريكَ النفوسَ ويشتّتَ الأذهانَ ويحرم القلوبَ من حلاواتِ الاتصال بالخالقِ العظيم .

واعلمْ أنه لمّا قال الله ﷻ: ﴿ **إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فهذا معناهُ أنها صراط مستقيم للمؤمن يقوده إلى الطيب والمعروفِ والعدل وهذه الأمور يخشاها الشيطان ؛ لأنها لو توافرتْ انهارتْ كلّ مخططاتهِ ؛ إذ ركيزة استقامة المجتمع المسلمِ الحقِّ هذه الأمورُ الثلاثة : الطيب نقيض الفحش والمعروف نقيض المنكر والعدلُ نقيض البغي . يقول الطبري في معنى هذه الآية : " والصواب من القول في ذلك أنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال ابن عباس وابن مسعود ، فإن قال قائل وكيفَ تنهى الصلاةُ عن الفحشاء والمنكر إنْ لم يكن معنيا بها ما يُتلى فيها ؟ قيل: تنهى مَن كان فيها فتحُولُ بينه وبين إتيان الفواحش ؛ لأن شغله بها يقطعه عن الشغل

---

١ - الطبري ، **جامع البيان** ، ج:٨، ص (١٣٥).

بالمنكر ولذلك قال ابن مسعود :من لم يطع صلاته لم يزدد من الله إلا بعدا ؛وذلك أن طاعته لها إقامته إيَّاها بحدودها وفي طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر " [١] .

ومن هنا فإذا عرفنا سبب تسلّط الشيطانِ بالوسوسة في الصلاة وهي الركن الركين والحبل المتين فللمرءِ أن يعلمَ بأنَّ هناكَ شيطانا مخصوصا يتولى مهمة الوسوسة في صدر المصلّي يقالُ له (خنزب) وقد صحّت الأحاديث بذلك أخرج الإمام مسلم في صحيحه: " أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا قَالَ :فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي " [٢].

قال النووي : " أما خنزب فبخاء معجمة مكسورة ثم نون ساكنة ثم زاي مكسورة ومفتوحة ويقال أيضا بفتح الخاء والزاي حكاه القاضي ويقال أيضا بضم الخاء وفتح الزاي حكاه ابن الأثير في النهاية وهو غريب وفى هذا الحديث استحباب التعوذ من الشيطان عند وسوسته مع التفل عن اليسار ثلاثا ومعنى يلبسها أي يُخلّطها ويشككني فيها وهو بفتح أوله وكسر ثالثه ومعنى حال بيني وبينها أي :نكّدني فيها ومنعني لذَّتها والفراغ للخشوع فيها " [٣].

صور الوسوسة الشيطانية في الصلاة :

تتخذ الوسوسة الشيطانية في الصلاة صورًا عديدة نجلّيها على النحو الآتي :

١- التلبيسُ في القراءة على المصلي .

وصورة ذلك تتمثل في الآتي :

أ - تكرير الألفاظ مراتٍ ومرات ظنّا ووسوسة منه أنه لم يقلها [٤]؛ إذ قد يقع هذا ممن داخله الوسواس في الفاتحة وما يقرؤه من آي القرآن أو في التشهد أو التكبير ؛حيث يحصلُ التكرير في الحروف أو الجُمَل والعبارات... فعندئذٍ يفسدُ المُوَسْوَسُ صلاته

---

١ - الطبري ، **جامع البيان** ، ج:٢٠، ص (١٥٥).

٢ - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب السلام ، باب:التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة ، ج:٤، ص (١٧٢٨) حديث رقم (٢٢٠٣).

٣ - النووي ، **المنهاج** ، ج:١٤، ص (١٩٠) .

٤ - تقدم شيء من بيان ذلك في المبحث الرابع الوسوسة في النية فانظره.

بتكرير الكلمة كقوله التحيات .. التحيات... أو تكريرِ بَعْضِ الكلمة مثل أتْ أتْ التَّحي أو أس أس السلام أو تكرير بعض الحروف كنحو قوله في التكبير أككككبر وكلفظه كلمة إياكَ : إيا ككلك أو كككلك ... يقول ابن الجوزي : " وقد لبس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف فتراه يقول :الحمد الحمد فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد وتارة في إخراج ضاد المغضوب ولقد رأيت من يقول المغضوب فيخرج بصاقة مع إخراج الضاد لقوة تشديده، وإنما المراد تحقيقُ الحرف فحسب وإبليسُ يخرج هؤلاء بالزيادة عن حدٍّ التحقيق ويشغلهم بالمبالغة في الحروفِ عن فهم التلاوة وكل هذه الوساوس من إبليس " [١].

ب – التفريط في المسنون من الصلاة وارتكاب المكروه والجهر بالصلاة النهارية بدافع طرد النوم يقول ابن الجوزي : " وقد لبَّس إبليس على خلق كثير من الجهالة المتعبدين فرأوا أنَّ العبادة هي القيام والقعود فحسب وهم يدأبون في ذلك وَيُخلُّون في بعض واجباتهم ولا يعلمون وقد تأمَّلتُ جماعة يسلِّمون إذا سلَّم الإمام وقد بقي عليهم من التشهد الواجب شيء وذلك لا يحمله الإمام عنهم ولبَّس على آخرين منهم فهم يطيلون الصلاة ويكثرون القراءة ويتركون المسنون في الصلاة ويرتكبون المكروه فيها وقد دخلت على بعض المتعبدين وهو يتنفَّلُ بالنهار ويجهرُ بالقراءة فقلت له: إنَّ الجهر بالقراءة بالنهار مكروه فقال لي:أنا أطرد النوم عني بالجهر فقلت له :إنَّ السنن لا تترك لأجل سهرك ومتى غلبك النوم فنم فإنَّ للنفس عليك حقا " [٢].

هذا وقد نبه ابن قتيبة في كتابه " مُشكِل القرآن " على ضرورة البعد عن التنطع في نطق الحروف وتكلّف ما ليست عليه السنة النبوية الشريفة في القراءة فقال : " وقد كان الناس يقرؤون القرآن بلغاتهم – أي : بلهجاتهم – ثمَّ خَلَفَ مِنْ بعدهم قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طبع اللغة ولا علم التكلف فهفوا في كثير من الحروف وذلوا فأخلوا ،ومنهم رجل ستر الله عليه عند العوام بالصلاح وقربه من القلوب بالدين فلم أر فيمن تتبعتُ في وجوه قراءته أكثر تخليطا ولا أشد اضطرابا منه ؛ لأنه يستعمل في الحرف ما يدعه في نظيره ثم يؤصل أصلا ويخالف إلى غيره بغير علة ويختار في كثير من

---

١ - ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧ هـ) ، **تلبيس إبليس** ، ج:١، ص (١٧٢).

٢ - ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧ هـ) ، **تلبيس إبليس** ،ج:١، ص (١٧٣) .

الحروف ما لا مخرج له إلا على طلب الحيلة الضعيفة هذا إلى نبذه في قراءته مذاهب العرب وأهل الحجاز بإفراطه في المد والهمز والإشباع وإفحاشه في الإضجاع والإدغام وحمله المتعلمين على المذهب الصعب وتعسيره على الأمة ما يسره الله تعالى وتضييقه ما فسحه "[1].

وقال ابن القيم : " الأئمة كرهوا التنطع والغلو في النطق بالحرف ومن تأمل هدي رسول الله ﷺ وإقراره أهل كل لسان على قراءتهم تبين له أن التنطع والتشدق والوسوسة في إخراج الحروف ليس من سنته "[2]

٢- التثاؤبُ في الصلاة .

إنَّ مِن وَسوسةِ الشيطان للمرء أنْ يُهَيِّجَ عليه التثاؤب في الصلاة أخرج مسلم في صحيحه عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَثَاوَبَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ "[3] قال الحافظ ابن حجر : " قال شيخنا – يعني زين الدين العراقي - في شرح الترمذي: أكثر روايات الصحيحين[4] فيها إطلاق التثاؤب ووقع في الرواية الأخرى تقييده بحالة الصلاة فيحتمل أنْ يُحمل المطلق على المقيد وللشيطان

---

١ - ابن قتيبة ، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) ، **تأويل مُشكلِ القرآن** ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م ، ص (٤٢/٤٣) .

٢ - ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) ، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** ، ج:١، ص (١٦٢) .

٣ - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الصلاة ، باب:تشميت العاطس وكراهة التثاؤب ،ج:٤، ص (٢٢٩٣) حديث رقم (٢٩٩٥) .

٤ - أخرج البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الأدب ، باب : ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب ، ج:٥، ص (٢٢٩٧) حديث رقم (٥٨٦٩) من طريق سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : " إنَّ الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فليرده ما استطاع فإذا قال ها ضحك منه الشيطان ". أخرج مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الصلاة ، باب: تشميت العاطس وكراهة التثاؤب ،ج:٤، ص (٢٢٩٣) حديث رقم (٢٩٩٤) من طريق إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع". وحديث رقم (٢٩٩٥) من طريق بشر بن المفضل عن سهيل بن أبي صالح قال سمعت ابنا لأبي سعيد الخدري يحدث أبي عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ : " إذا تثاوب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل ". وكذا من طريق عبد العزيز عن سهيل عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: إذا تثاوب أحدكم فليمسك بيده فإن الشيطان يدخل ".

غرض قوي في التشويش على المصلي في صلاته ويحتمل أن تكون كراهته في الصلاة أشدُّ ولا يلزم من ذلك أنْ لا يُكره في غيرِ حالة الصلاة وقد قال بعضهم : إنّ المطلق إنما يحمل على المقيد في الأمر لا في النهي ويؤيد كراهته مطلقا كونه من الشيطان " [١]

وحكى الحافظ ابن حجر عن ابن العربي المالكي أنه قال :" ينبغي كظم التثاؤب في كل حالة وإنَّمَا خصَّ الصلاة؛ لأنها أولى الأحوال بدفعه لما فيه من الخروج عن اعتدال الهيئة واعوجاج الخِلقة " [٢]

وقال الحافظ ابن حجر : "وأما قوله في رواية أبي سعيد في ابن ماجه [٣] ولا يعوي فإنه بالعين المهملة شبه التثاؤب الذي يسترسل معه بعواء الكلب تنفيرا عنه واستقباحا له فإنَّ الكلب يرفع رأسه ويفتح فاه ويعوي والمتثائب إذا أفرط في التثاؤب شابهه ومن هنا تظهر النكتة في كونه يضحك منه؛لأنه صيَّره ملعبة له بتشويه خلقه في تلك الحالة وأما قوله في رواية مسلم(فإنَّ الشيطان يدخلُ) فيحتمل أن يراد به الدخول حقيقة وهو وإنْ كان يجري من الإنسان مجرى الدم ؛لكنه لا يتمكن منه ما دام ذاكرا الله تعالى والمتثائب في تلك الحالة غير ذاكر فيتمكن الشيطان من الدخول فيه حقيقة ويحتمل أنْ يكون أطلق الدخول وأراد التمكن منه؛ لأن مِن شأنَ ن دخل في شيء أنْ يكون متمكنا منه، وأما الأمر بوضع اليد على الفم فيتناول ما إذا انفتح بالتثاؤب فيغطي بالكف ونحوه وما إذا كان منطبقا حفظا له عن الانفتاح بسبب ذلك وفي معنى وضع اليد على الفم وضع الثوب ونحوه مما يحصل ذلك المقصود وإنما تتعين اليد إذا لم يرتد التثاؤب بدونها ولا فرق في هذا الأمر بين المصلي وغيره بل يتأكد في حال الصلاة كما تقدم ويستثنى ذلك من النهي عن وضع المصلي يده على فمه ومما يؤمر به المتثائب إذا كان في الصلاة أن يمسك عن القراءة

---

١ - ابن حجر ، **فتح الباري** ، ج:١٠، ص (٦١٢).

٢ - ابن حجر ، **فتح الباري** ، ج:١٠، ص (٦١٢).

٣ - أخرجه ابن ماجة ، محمد بن يزيد (ت ٢٧٥ هـ) ، **السنن** ، بعناية محمد فؤاد عبد الباقي ، د.ط ، دار الفكر – بيروت ، د.ت ، كتاب الصلاة ، باب : ما يكره في الصلاة ، ج:١، ص (٣١٠) حديث رقم (٩٦٨) من طريق حفص بن غياث عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه ولا يعوي فإن الشيطان يضحك منه ".

حتى يذهب عنه لئلا يتغير نظم قراءته وأسند ابن أبي شيبة نحو ذلك عن مجاهد وعكرمة والتابعين" [١].

٣- إيهام المصلّي خروج شيء من أحد السّبيلين .

وإنَّ مِنْ صور وسوسة إبليس في الصلاة إيهامه للمصلي خروجَ شيء مِن أحدِ السّبيلين ليلفته عن صلاته أخرجَ البخاري في صحيحه عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ عَنْ عَمِّهِ أنَّهُ شَكَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ الرَّجُلَ الَّذي يُخيَّلُ إليهِ أنَّهُ يَجِدُ الشَّيْءَ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ : لَا يَنْفَتِلُ أَوْ لَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا " [٢] وأخرجَ مسلم في صحيحه عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إذَا وَجَدَ أحَدُكُم فِي بَطْنِهِ شَيئًا فأشْكَلَ عَلَيهِ أخَرَجَ مِنْهُ أمْ لَا ؟ فَلَا يَخْرُجَنَّ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أوْ يَجِدَ رِيْحًا " [٣]

قلتُ : إنَّ هذا التخييل باعثه الشيطان ؛ حيث يقصدُ قطع صلاة العبد وإخراجه من حضرة لقاء ربِّه أخرج ابن أبي شيبة بإسنادٍ صحيح موقوفا على ابن عباس ﷺ قال : " إنَّ الشَّيْطَانَ يَطِيفُ بِالْعَبْدِ لِيَقْطَعَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ فَإِذَا أعْيَاهُ نَفَخَ فِيْ دُبُرِهِ فَلَا يَنْصَرِفْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا وَيأتِيْهِ فَيَعْصِرُ ذَكَرَهُ فَيُرِيَهُ أنَّهُ أُخْرِجَ مِنْهُ شيءٌ فَلا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَستَيقِنَ " [٤]

---

١ - ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥ هـ) ، **المصنف** ، ج:٢،ص (١٨٩) حديث رقم (٧٩٩٣) من طريق وكيع قال حدثنا سفيان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال : " إذا تثاوب في الصلاة فليمسك عن القراءة ". وحديث رقم (٧٩٩٤) من طريق جرير بن حازم عن يَعلى بن حكيم عن عكرمة قال إذا تثاوب أحدكم وهو يقرأ فليمسك عن القراءة ".

٢ - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الوضوء ، باب : لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن ، ج:١، ص (٦٤) حديث رقم (١٣٧) . وأخرج البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب البيوع ، باب من لم ير الوساوس ونحوها من المشبهات ، ج:٢، ص (٧٢٥) حديث رقم (١٩٥١) عن الزهري عن عباد بن تميم عن عمه قال شكي إلى النبي ﷺ الرجل يجد في الصلاة شيئا أيقطع الصلاة قال لا حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا ".

٣ - أخرج مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الطهارة ، باب : الدليل على أن من تيقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك ، ج:١، ص (٢٧٦) حديث رقم (٣٦٢) .

٤ - ابن أبي شيبة ، **المصنف** ،باب: الرجلُ يرى أنه أحدثَ في الصلاة ، ج:٢، ص (١٩١) حديث رقم (٨٠٠٧) . وأخرج ابن أبي شيبة ، **المصنف** ، باب : الرجلُ يرى أنه أحدثَ في الصلاة ، ج: ٢ ، ص (١٩٠) حديث رقم (٨٠٠١) بإسنادٍ صحيح موقوفا على ابن عباس قال عكرمة مولاه : سأله رجل=

قال النووي : " قوله (يخيل إليه الشيء) يعني خروج الحدث منه وقوله ﷺ (حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا) معناه: يعلمُ بوجود أحدهما ولا يشترط السَّماع والشمُّ بإجماع المسلمين وهذا الحديث أصل من أصول الإسلام وقاعدة عظيمة من قواعد الفقه وهي أنَّ الأشياء يحكم ببقائها على أصولها حتى يتيقن خلاف ذلك ولا يضر الشك الطارئ عليها فمن ذلك مسألة الباب التي ورد فيها الحديث وهيَ أنَّ من تيقّن الطهارة وشكَّ في الحدث حُكم ببقائه على الطهارة ولا فرقَ بين حصولِ هذا الشكِّ في نفسِ الصلاة وحصولِهِ خارج الصلاة هذا مذهبنا ومذهب جماهير العلماء من السلف والخلف " [1]

قال الحافظ ابن حجر: " قوله (يجدُ الشيء) أي الحَدَثَ خارجًا منه وصرَّح به الإسماعيلي ولفظه يخيل إليه في صلاته أنه يخرج منه شيء وفيه العدول عن ذكر الشيء المستقذر بخاصِّ اسمه إلا الضرورة قوله (في الصلاة) تمسك بعض المالكية بظاهره فخصوا الحكم بمن كان داخل الصلاة وأوجبوا الوضوء على من كان خارجها وفرقوا بالنهي عن إبطال العبادة والنهي عن إبطال العبادة متوقف على صحتها فلا معنى للتفريق بذلك ؛ لأن

=فقال له إن الشيطان يأتيني وأنا في الصلاة فيوسوس لي حتى يقول إنك قد أحدثت فقال لا تنصرف حتى تجد لها ريحا أو تسمع لها طنينا "

١ - النووي ، **المنهاج** ، ج:٤، ص (٤٩) وما بعدها. وأضاف النووي على ما تقدّم فقال : " وحُكِيَ عن مالك رحمهُ الله تعالى روايتان أحدهما أنه يلزمه الوضوء إن كان شكه خارج الصلاة ولا يلزمه إنْ كان في الصلاة والثانية يلزمه بكل حال وحكيت الرواية الأولى عن الحسن البصري وهو وجه شاذ محكي عن بعض أصحابنا وليس بشيء قال أصحابنا ولا فرق في الشك بين أن يستوي الاحتمالان في وقوع الحدث وعدمه أو أن يترجح أحدهما أو يغلب على ظنه فلا وضوء عليه بكل حال قال أصحابنا ويستحب له أن يتوضأ احتياطا فلو توضأ احتياطا ودام شكه فذمته بريئة وان علم بعد ذلك أنه كان محدثا فهل تجزيه تلك الطهارة الواقعة في حال الشك فيه وجهان لأصحابنا أصحهما عندهم أنه لا تجزيه لأنه كان مترددا في نيته والله أعلم وأما إذا تيقن الحدث وشك في الطهارة فانه يلزمه الوضوء بإجماع المسلمين وأما إذا تيقن أنه وجد منه بعد طلوع الشمس مثلا حدث وطهارة ولا يعرف السابق منهما فإن كان لا يعرف حاله قبل طلوع الشمس لزمه الوضوء وان عرف حاله ففيه أوجه لأصحابنا أشهرهما عندهم أنه يكون بضد ما كان قبل طلوع الشمس فإن كان قبلها محدثا فهو الان متطهر وان كان قبلها متطهرا فهو الآن محدث والثاني وهو الأصح عند جماعات من المحققين أنه يلزمه الوضوء بكل حال والثالث يبني على غالب ظنه والرابع يكون كما كان قبل طلوع الشمس ولا تأثير للأمرين الواقعين بعد طلوعها هذا الوجه غلط صريح وبطلانه أظهر من أن يستدل عليه وإنما ذكرته لأنبه على بطلانه لئلا يغتر به وكيف يحكم بأنه على حاله مع تيقن بطلانها بما وقع بعدها والله أعلم ".

هذا التخيل إنْ كان ناقضا خارج الصلاة فينبغي أن يكون كذلك فيها كبقية النواقض قوله (لا ينفتل) بالجزم على النهي ويجوز الرفع على أنَّ لا نافية قوله (أو لا ينصرف) هو شك من الراوي وكأنه من علي ابن المديني؛ لأن الرواة غيره رووه عن سفيان بلفظ لا ينصرف من غير شك قوله (صوتا) أي :من مخرجه قوله (أو يجد) أو للتنويع وعَبَّرَ بالوجدان دونَ الشمٌ ليشمَلَ ما لو لمسَّ المحل ثم شم يده ولا حُجَّة فيه لمن استدل على أن لمس الدُّبُر لا ينقض ؛ لأنَّ الصورةَ تحملُ على لمس ما قاربه لا عينه ودلَّ حديث الباب على صحة الصلاة ما لم يتيقن الحدَث وليس المراد تخصيص هذين الأمرين باليقين ؛لأن المعنى إذا كان أوسع من اللفظ كان الحكم للمعنى قاله الخطابي... وحمل بعضهم الحديث على من كان به وسواس وتمسَّك بأن الشكوى لا تكون إلاَّ من علة وأجيبَ بما دل على التعميم وهو حديث أبي هريرة عند مسلم ولفظه إذا وجد أحدكم في بطنه شيئا فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا وقوله (فلا يخرجن من المسجد) أي: من الصلاة وصرح بذلك أبو داود في روايته [1] وقال العراقي :ما ذهب إليه مالك راجح ؛ لأنه احتاط للصلاة وهي مقصد وألغى الشك في السبب المبرئ وغيره احتاط للطهارة وهي وسيلة وألغى الشك في الحديث الناقض لها والاحتياط للمقاصد أوْلى مِنَ الاحتياط للوسائل وجوابه أنَّ ذلك من حيث النظر قوي لكنه مغاير لمدلول الحديث ؛لأنه أمر بعدم الانصراف إلى أنْ يتحقق " [2].

---

١ - انظر : أبو داود ،سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥ هـ) ، **السنن** ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ط، دار الفكر ، د.م ، د.ت كتاب الطهارة ، باب: إذا شكَّ في الحدث ، ج:١، ص (٤٥) حديث رقم (١٧٧) من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " إذا كان **أحدكم في الصلاة** فوجد حركة في دبره أحدث أو لم يحدث فأشكل عليه فلا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا "

٢ - ابن حجر ، **فتح الباري** ، ج:١، ص (٢٣٨) .

فائدة: قال المباركفوري : " قال بعض العلماء الحنفية في شرحه لشرح الوقاية اتفق أصحابنا على أن الريح الخارجة من الدبر ناقضة واختلفوا في الخارجة من الذكر وقبل المرأة فروى القدوري عن محمد أنه يوجب الوضوء وبه أخذ بعض المشايخ وقال أبو الحسن لا وضوء فيهما إلا أن تكون المرأة مفضاة والمفضاة هي التي اختلط سبيلاها القبل والدبر وقيل مسلك البول والحيض فيستحب لها الوضوء وكان الشيخ أبو حفص الكبير يقول إذا كانت المرأة مفضاة جب عليها الوضوء وإن لم تكن مفضاة لا يجب وهكذا ذكر هشام في نوادره عن محمد ،ومن المشايخ من قال في المفضاة إذا كان الريح منتنا يجب الوضوء وما لا فلا كذا في الذخيرة وبه علمت أن الاختلاف في الريح =

٤- **ومن صورُ وسوسة إبليس في الصلاة تذكيره المرء بقصص الماضي** ممَّا قد أكل الدهر عليه وشرب وتذكيره بشيء قد نسيه بقصد أن يلفتَهُ عن الصلاة ويخرجه منها لا حبا ومساعدة له أخرج البخاري في صحيحهِ من طريق الأعرج عن أبي هُريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى"[1]

قال ابن بطّال: " من نسي شيئًا وأراد أن يتذكره فليصل ويجهد نفسه فيها من تخليص الوسوسة وأمور الدنيا ، فإن الشيطان لابد أن يحاول تسهيته وإذكاره أمور الدنيا؛ ليصده عن إخلاص نيته في الصلاة.

وقد روي عن أبى حنيفة: أن رجلاً دفن مالاً، ثم غاب عنه سنين كثيرة، ثم قدم فطلبه فلم يهتد لمكانه، فقصد أبا حنيفة فأعلمه بما دار له فقال له: صلِّ في جوف الليل وأخلص نيتك لله تعالى، ولا تجد على قلبك شيئًا من أمور الدنيا، ثم عرفني بأمرك، ففعل فذكر في الصلاة مكان المال، فلما أصبح أتى أبا حنيفة فأعلمه بذلك، فقال بعض

=الخارجة منهما على قولين الأول أنه يوجب الوضوء ودليله عموم ما ورد في الحديث إن الحدث ما خرج من أحد السبيلين فإن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب وبه قال الشافعي كذا في البناية والثاني أنه لا يوجب وإليه مال صاحب الهداية وعلل بأنها لا تنبعث عن محل النجاسة وهو مبني على أن عين الريح ليست بنجسة وإنما يتنجس بمرورها على محل النجاسة وهذا لا يتمشى على قول من قال من المشايخ بتنجس عين الريح والأولى في التعليل ما ذكره غيره أنها اختلاج لا ريح وليس بشيء خارج لكن هذا أيضا قاصر فإنه لا يتمشى في ما إذا وجدت النتن أو سمعت الصوت من القبل أو الذكر فإن هناك لا شك في خروج شيء وممن اختار هذا القول قاضي خان في فتاواه وصاحب مراقي الفلاح وقال هو الأصح لأنه اختلاج لا ريح وإن كان ريحا فلا نجاسة فيه وريح الدبر ناقضة لمرورها بالنجاسة وصاحب التنوير وصاحب الدر المختار وغيرهم من المتأخرين ولا يخفى عليك أن الموافق للأحاديث هو القول الأول فليكن هو المعول " ا.هـ انظر ، المباركفوري ، **تحفة الأحوذي** ، ج:١، ص (٢١٠/٢١١).

١ - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الأذان ، باب : فضل التأذين ، ج:١، ص (٢٢٠) حديث رقم (٥٨٣) . وأخرج مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الصلاة ، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه ، ج:١، ص (٢٩١) حديث رقم (٣٨٩) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال أن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال له ضراط حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس "

جلسائه: من أين دللته على هذا ، يرحمك الله؟ فقال: استدللتُ من هذا الحديث وعلمتُ أنَّ الشيطان سيرضى أن يذكِّره موضع ماله ويمنعه الإخلاص في صلاته، فعجب الناس من حُسْن انتزاعه واستدلاله " [١].

حكى الحافظ ابن حجر عن القاضي عياض أنه قال في معنى الحديث : " قوله (أقبل حتى يَخْطُرَ) بضم الطاء قال عياض :كذا سمعناه من أكثر الرواة وضبطناه عن المتقنين بالكسر وهو الوجه ومعناه يوسوس وأصله من خطر البعير بذنبه إذا حرَّكه فضرب به فخذيه،وأمَّا بالضم فمن المرور أي: يدنو منه فيمر بينه وبين قلبه فيشغله وضعف الحَجَري في نوادره الضمَّ مطلقا وقال :هو يخطِر بالكسر في كل شيء (قوله بين المرء ونفسه) أي :قلبه " [٢].

قلتُ : إنَّ لسائل أنْ يَسألَ هنا ما سرُّ هروبِ الشيطانِ الرَّجيم حينَ يسمعُ الأذان دونَ سماعِ القرآن والذكرِ في الصلاة ؟ .

قال الحافظ ابن حجر : " اختلف العلماء في الحكمة في هروب الشيطان عند سماع الأذان والإقامة دون سماع القرآن والذكر في الصلاة فقيل :

١- يهرب حتى لا يشهد للمؤذن يوم القيامة ؛ فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جنٌّ ولا إنس إلاَّ شهد له ولعلَّ البخاري أشار إلى ذلك بإيراده الحديث المذكور عقب هذا الحديث...

٢- وقيل يهرب نفورًا عن سماع الأذان ثم يرجع موسوسًا ليفسد على المصلي صلاته فصار رجوعه من جنس فراره والجامع بينهما الاستخفاف...

٣- وقيل: لأن الأذان دعاء إلى الصلاة المشتملة على السجود الذي أباه وعصى بسببه، واعتُرِض بأنهُ يعود قبل السجود فلو كان هربه لأجله لم يعد إلا عند فراغه وأجيبَ: بأنه يهرب عند سماع الدعاء بذلك ليغالط نفسه بأنه لم يخالف أمرا ثم يرجع ليفسد على المصلي سجوده الذي أباه...

٤- وقيل إنما يهرب لاتفاق الجميع على الإعلان بشهادة الحق وإقامة الشريعة واعتُرِض بأن الاتفاق على ذلك حاصل قبل الأذان وبعده من جميع من يصلي وأجيب بأن الإعلان

---

١ - ابن بطّال ، علي بن خلف (ت ٤٤٩هـ) ، **شرح صحيح البخاري** ، ضبط نصّه وعلّق عليه : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، ط١، مكتبة الرشد- الرياض ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م ، ج:٢ ،ص (٢٣٧) .

٢ - ابن حجر ، **فتح الباري** ، ج:٢، ص (٨٦) .

أخص من الاتفاق فإن الإعلان المختص بالأذان لا يشاركه فيه غيره من الجهر بالتكبير والتلاوة مثلا ولهذا قال لعبد الله بن زيد ألقه على بلال فإنَّه أندى صوتا منك أي : أقعدَ في المد والإطالة والإسماع ليعم الصوت ويطول أمد التأذين فيكثر الجمع ويفوت على الشيطان مقصودهُ من إلهاء الآدمي عن إقامة الصلاة في جماعة أو إخراجها عن وقتها أو وقت فضيلتها فيفر حينئذ وقد يأس عن أن يردهم عما أعلنوا به ثم يرجع لما طبع عليه من الأذى والوسوسة ..

٥- وقيل لأن الأذان إعلام بالصلاة التي هي أفضل الأعمال بألفاظ هي من أفضل الذكر لا يزاد فيها ولا ينقص منها بل تقع على وفق الأمر فيفر من سماعها وأما الصلاة فلِمَا يقع من كثير من الناس فيها من التفريط فيتمكن الخبيث من المفرِّط فلو قُدِّر أنَّ المصلي وفَّى بجميع ما أمر به فيها لم يقربه إذا كان وحده وهو نادر وكذا إذا انضمَّ إليه من هو مثله فإنه يكون أندر أشار إليه ابن أبي جمرة نفع الله ببركته " [١].

قلتُ : اعلم أنَّ الشيطانَ وإنْ كانَ يهرُبُ حينَ يسمَعُ الأذانَ إلاَّ أنَّه يتركُ في نفوسِ البعض وسواسَ وتلبيسات تتعلقُ بهيئة الأذان وطريقة أدائه يقول ابن الجوزي : " ومن ذلك التلحين في الأذان وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء كراهية شديدة؛ لأنه يخرجه عن موضع التعظيم إلى مشابهة الغناء ومنه أنهم يخلطون أذان الفجر بالتذكير والتسبيح والمواعظ ويجعلون الأذان وسطا فيختلط وقد كره العلماء كل ما يضاف إلى الأذان وقد رأينا من يقوم بالليل كثيرًا على المنارة (مكان يصعده المؤذن ليؤذن فوقه) فيَعِظُ ويذكِّرُ ومنهم من يقرأ سورًا من القرآن بصوتٍ مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتهجدين قراءتهم وكلُّ ذلك من المنكرات " [٢].

---

١ - ابن حجر ، **فتح الباري** ، ج:٢، ص (٨٦/٨٧)

٢ - ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧ هـ) ، **تلبيس إبليس** ، ج:١، ص (١٦٨) .

تنبيه هامٌ جدا :

قلتُ : إنَّ مما شاع من تلبيس إبليسَ في زماننا هذا فتح مكبرات المساجد وتسميع الصلواتِ الجهريّة عليها ، بل وتكبيرة الإحرام وتكبيرات الانتقال في الصلاة السريّة ، فلعمري هذا من قبيل الوسوسة الشيطانية ؛ حيثُ إنّ فيه انتقاصا من قدرِ الصلاة وذلك من وجوه :-

أحدها : أنَّ الناسَ لن يستمعوا للقراءة بسبب أعمالهم وشؤونهم وأحوالهم الأمرِ الذي يوقع المكلّفين في الحرجِ والإثم فهناك الرجل المريض والطالب الذي يدرسُ والمرأة الحائض أو النُفساء المتعبة أو مَن=

=هو متزوج حديثا وهو يلاطفُ أهلَهُ إضافة إلى ذلك الأطفال الرضّع والصغار فهؤلاء جميعا يفزعون من الأصوات العالية وإن كانت صلاة وقرآنا !! .

ثانيها : أنَّ الإمامَ عُرضة في الصلاة الجهرية أن ينتابَهُ شيء كأن يُغلَقَ عليه في القراءة أو يُخطئ في لفظ الآية وعليهِ فليسَ مِن المناسِبِ ولا مِنَ اللائقِ أنْ يبثَّ ذلكَ الحال و تنتقل تلكَ الصورة فيعلمَ بها القاصِي والداني .

ثالثها : أنَّ نشرَ الصلاة على السمّاعات الخارجية للمساجدِ من شأنهِ أنْ يُسببَ فتنة خصوصا إذا كانتْ تلكَ المدينة أو البلدة يقطنها غير المسلمين من أهل الكتابِ فقد تصدرُ منهم شتائم في حقِّ صلاة المسلمين وسخرية من القرآن الكريم وأصواتِ الأئمة .

رابعها : أنَّ كثيرا من الأئمة لا يتقنُ أحكام التجويدِ وربما كانَ صوتهُ نشازا فينفّر القلوب عن محبَّة الصلاة والإقبال عليها ، وإذا سلّمنا أنَّ الإمام متقن حسنُ الصوتِ لم يكنْ له مهربٌ من أحد الوجوه الثلاثة التي تقدّمت والله الموفّق والهادي إلى سبيل الرشاد .

خامسها : أنَّ نقل تكبيرات الصلاة السرية على السماعات الخارجية نوع من الرياءِ والعُجبِ وليسَ فيه فائدة ترتجى.

المبحث السابع: الوسوسة في الصيام

اعلم أنَّ الشيطان لا يدع بابا فيه إفساد عبادة المرء إلا طرقه وباب الصوم أحدُ هذه الأبوابِ التي يقصدُ نخرها بالوسوسة كالسوسة في الخشب ووسوسة الشيطانِ للمرءِ في الصومِ لها أربعُ صُورٍ رئيسة هي :-

١- إغراءُ المرء بالمبالغة في المضمضة والاستنشاق عند الوضوء ؛ فيزينُ لهُ إبليسُ أنَّ هذه المبالغة من علاماتِ إتقانِ الوضوء وإصابةِ السنَّة وإزالةِ الجنابة في الغسل - الأمرِ الذي قد يجعلُ الماءَ يدخُلُ إلى جوفهِ فيبطلُ صومُهُ لتعمدهِ المبالغة في ذلك وقد نوّه ونبَّه النبي الكريمﷺ إلى ذلك ؛ فقد أخرج أبو داود في سننه بإسناد حسن من طريق عَاصِمِ بْنِ لَقِيطِ بْنِ صَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ لَقِيطِ بْنِ صَبْرَةَ قَالَ : " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا "[1] قال النووي : " ويستحبُّ المبالغة في المضمضة والاستنشاق إلا أن يكون صائما فيكره ذلك لحديث لقيط "[2] وقالَ العظيم آبادي : " قال الخطابي: فيه من الفقه أن وصول الماء إلى موضع الدماغ يفطر الصائم إذا كان ذلك بفعله وعلى قياس ذلك كل ما وصل إلى جوفه بفعله من حقنة وغيرها سواء كان ذلك في موضع الطعام والغذاء أو في غيره من حشو جوفه "[3].

قلتُ : وهذه المبالغة مَزلَقٌ وسواسي من الشيطان تجعلُ المرءَ يظنُّ نفسَهُ يُحْسِنُ من حيثُ يسيء وليس صنيعُه ذلك من الدين في شيء .

٢- إغراءُ الشيطان المرءَ تقبيلَ زوجته فيصنعُ ذلكَ تحسينا لظنهِ بنفسهِ أنه يفعل فعلَ النبي ﷺ والحقُّ أنّه لا يملك إربَه كالنبي ﷺ أخرجَ البخاري في صحيحه عن

---

١ - أبو داود ، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥ هـ) ، **السنن** ، كتاب الصوم ، باب الصائم يصبُّ عليه الماءُ من العطش ويبالغ في الاستنشاق ، ج:٢، ص (٣٠٨) حديث رقم (٢٣٦٦) . وأخرجه الترمذي ، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ) ، **السنن** ، كتاب الصيام عن رسول الله ﷺ ، باب: ما جاء في كراهية مبالغة الاستنشاق للصائم ، ج:٣، ص (١٥٥) حديث رقم (٧٨٨) من طريق يحيى بن سليم قال حدثني إسماعيل ابن كثير قال سمعت عاصم بن لقيط بن صبرة عن أبيه قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء قال أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائما " قال أبو عيسى : **هذا حديث حسن صحيح**

٢ - النووي ، **المنهاج** ، ج:٣، ص (١٠٥) .

٣ - العظيم آبادي ، **عون المعبود** ، ج:٦، ص (٣٥٣).

عائشة ﵂ قالت : " كَانَ ﷺ يُقبِّلُ وَيُبَاشِرُ وَهُو صَائمٌ وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإرْبِهِ " [١] قال النووي : " قال الشافعي والأصحاب القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته لكن الأولى له تركها ولا يقال إنها مكروهة له وإنما قالوا إنها خلاف الأولى في حقه مع ثبوت أن النبي ﷺ كان يفعلها ؛لأنه ﷺ كانَ يُؤمَنُ في حقه مجاوزة حدِّ القُبلة ويخاف على غيره مجاوزتها كما قالت عائشة كان أملككم لأربه وأما من حركت شهوته فهي حرام في حقه على الأصح عند أصحابنا وقيل مكروهة كراهة تنزيه " [٢] وقال صاحب عون المعبود : " ولكنه كان أملككم لأربه هذا اللفظة رووها على وجهين أشهرهما رواية الأكثرين إِرْبه بكسر الهمزة وإسكان الراء وكذا نقله الخطابي والقاضي عن رواية الأكثرين والثاني بفتح الهمزة والراء معناه بالكسر الوطر والحاجة وكذا بالفتح ولكنه يطلق المفتوح أيضا على العضو قال الخطابي في معالم السنن : "هذه اللفظة تروى على وجهين الفتح والكسر قال ومعناهما واحد وهو حاجة النفس ووطرها يقال لفلان على فلان أرب وإرب وأربة ومأربه أي: الحاجة قال: والأرب أيضا العضو قال العلماء :معنى كلام عائشة أنه ينبغي لكم الاحتراز عن القبلة ولا تتوهموا من أنفسكم أنكم مثل النبي ﷺ في استباحتها؛ لأنه يملك نفسه ويأمن من الوقوع في قبلة يتولد منها إنزال أو شهوة أو هيجان نفس ونحو ذلك وأنتم لا تأمنون ذلك فطريقكم الانكفاف عنها " [٣].

٣- يوسوس للمرء تركَ الصيامِ بدعوى أنه يُضني البدن ويضعف الجسم وتركه راحة وقوة للبدن حكى ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة قال : " عن أبي أيوب - رجلٍ من قريش - أنَّ امرأة من أهله كانتْ تجتهد في العبادة وتديم الصيام وتطيل القيام فأتاها الملعون فقال :إلى كم تعذبينَ هذا الجسم وهذه الروح لو أفطرت وقصرتِ عن الصيام والقيام كانَ أدوم لك وأقوى ؟ قالت: فلم يَزل يوسوس لي حتى هممْتُ والله بالتقصير قالت: ثمَّ دخلتُ مسجد رسول الله ﷺ وذلك بين المغرب والعشاء فحَمدتُ الله وصليتُ على رسوله ﷺ ثم ذكرتُ ما نزل بي مِنْ وسواس الشيطان واستغفرتُ وجعلتُ أدعو الله أنْ يصرف عني كيده ووساوسه قالت: فسمعتُ صوتا من ناحية القبر يقول ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ

---

١ - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الصوم ، باب : المباشرة للصائم وقالت عائشة ﵂ يحرم عليه فرجها ، ج:٢، ص (٦٨٠) حديث رقم (١٨٢٦).

٢ - النووي ، **المنهاج** ، ج:٧، ص (٢١٥).

٣ - العظيم آبادي ، **عون المعبود** ، ج:٧، ص (٨) .

لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] قالت :فرجعت مذعورة وجلةَ القلب فوالله ما عاودتني تلك الوسوسة بعد تلك الليلة "[١].

٤- وسوسة الشيطانِ للمرء الصائم بتأخير الفطر إلى ما بعدَ غروبِ الشمسِ ؛ حيث يبثُ في نفسهِ أنَّ في ذلكَ أجرًا أكثر وأعظم والحقُّ أنَّ المرءَ إنْ فعلَ ذلكَ كانَ وسوسة شيطانية ؛ فقد حذرَ النبي ﷺ من تأخير الفطر ، أخرج البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي : "أنَّ رسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ : لَاْ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَاْ عَجَّلُوا الفِطْرَ "[٢] قال الحافظ ابن حجر : " قال ابن دقيق العيد : في هذا الحديث رد على الشيعة في تأخيرهم الفطر إلى ظهور النجوم ولعل هذا هو السبب في وجود الخير بتعجيل الفطر ؛لأن الذي يؤخره يدخل في فعل خلاف السنة "[٣].

١ - ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧ هـ) ، **صفة الصفوة** ، تحقيق: محمد فاخوري وآخر ، ط٢، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، ج:٢، ص (٢٠٥) .

٢ - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الصوم ،باب :تعجيل الإفطار ،ج:٢، ص (٦٩٢) حديث رقم (١٨٥٦) .

٣ - ابن حجر ، **فتح الباري** ، ج:٤، ص (١٩٩) .

المبحث الثامن: الوسوسة في الزكاة والحج

اعلمْ أنَّ الزكاةَ والحج يشترك أحدهما مع الآخر في كونهما تتطلبانِ بذل المال والوسواسُ الشيطاني يثبط عزيمة المرء عن بذلِ المال في سبل الخير والطاعة وصورُ وسوستهِ هاهنا كالآتي :

١- بثُ الرعبِ في الصدور من الفقر بسبب التصدُّقِ وإخراجِ الزكاة وحملها على البخل والإمساك وقد أشار إلى هذا المعنى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢٦٨] قال ابن كثير : " أي: يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله ﴿ **وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ** ﴾ أي: من نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق قال تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا** ﴾ أي في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء ﴿ **وَفَضْلا** ﴾ أي: في مقابلة ما خوَّفكم الشيطان مِن الفقر والله واسع عليم " [1] وفي تفسير الجلالين يقول السيوطي : " الشيطانُ يعدكم بالفقر يخوفكم به إن تصدقتم فتمسكوا ويأمركم بالفحشاء البخل ومنع الزكاة والله يعدكم على الإنفاق مغفرة منه لذنوبكم وفضلا رزقا خلفا منه والله واسع فضله عليم بالمنفق " [2].

٢- يعملُ على انشغال ذهنِ المرء بمستقبلِ الأهل والأولاد فيوسوِسُ لهُ أنَّ إخراجَ الصدقة أو تخصيص مبلغٍ لأداءَ الحجِّ أو العمرة هو مِنْ قبيلِ تبديدِ المال وأنهُ حرمانٌ لأهلِه من حقهم فيه ؛ وقد أشار القرآن الكريمُ إلى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ **وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾ [الإسراء:٦٤].

قلتُ : إنَّ الآية سبقَ بيان معناها عند الكلام عن عناصر العملية الوسواسية غيرَ أنَّ المعنى الذي أقصده هنا لم تسبق الإشارة إليه وصورتهُ أنَّ إبليسَ يصنع معادلةً وسواسية

---

[1] - ابن كثير ، إسماعيل ، (ت ٧٧٤ هـ) ، **تفسير القرآن العظيم** ، د.ط ، دار الفكر بيروت ، ١٤٠١هـ، ج:١، ص (٣٢٢).

[2] - السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) ، **تفسير الجلالين** ، ص (٦٠) .

طرفاها هما الأموال والأولاد ويقنع المرءَ ويزيّن له أنَّ المالَ سرُّ قوةِ أولادِه وأنه بمقدارِ ما يكونُ المال الذي يتركهُ لهم كبيرا فإنهم سيكونون أكثر هيبة وشكيمة وأكثر رسوخا وقدرةً على مواجهةِ مصاعبِ الحياة والعيشِ برغدٍ وسرورٍ وهنأة وهذا كلّه كلام حقٌّ أريد به الباطل وتغريرٌ مِنْ إبليس الرجيم ؛ولهذا أعقب الله صنيعَ إبليس بقوله تباركَ وتعالى ﴿ **وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾ .

٣- يطمسُ على عينيه وقلبهِ بغشاوة ويهيّج في نفسه منافسة أقرانهِ الأثرياء في كنز المال وجمعه فيوسوسُ له الشيطانَ أنَّ إخراج الزكاة أو الذهابَ بمبلغٍ من المال للحج سوف يخرجكَ أيها المرء من إطار المنافسة في الثراء وتكثير المال فتشغلهم الدنيا عن الآخرة. وقد أشارَ القرآنُ الكريمُ إلى ذلك يقولِ الله تعالى : ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [التوبة : ٣٤] قال الطبري بعدَ أنْ ساقَ الأقوال في معنى الكنز : " وأولى الأقوال في ذلك بالصحة القول الذي ذكر عن ابن عمر مِنْ أنَّ كل مال أدّيَتْ زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وإنْ كثر وأن كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب مستحق وعيد الله إلاّ أنْ يتفضل الله عليه بعفوه وإنْ قلَّ إذا كان مما يجب فيه الزكاة " [١] ويقولُ ابن القيم : " إنَّ تعلق العبد بما سوى الله تعالى مضرة عليه إذا أخذ منه فوق القدر الزائد على حاجته غير مستعينٍ به على طاعته ؛فإذا نال من الطعام والشراب والنكاح واللباس فوق حاجته ضره ذلك ولو أحب سوى الله ما أحبَّ فلا بد أن يسلبه ويفارقه فإنْ أحبه لغير الله فلابد أن تضره محبته ويعذَّب بمحبوبه.إما في الدنيا وإما في الآخرة والغالب أنه يعذب به في الداري... (و) تعذيبهم بها هو الأمر المشاهد من تعذيب طلاب الدنيا ومحبيها ومؤثريها على الآخرة : بالحرص على تحصيلها والتعب العظيم في جمعها ومقاساة أنواع المشاق في ذلك فلا تجد أتعب ممن الدنيا أكبر همه وهو حريص بجهده على تحصيلها والعذاب هنا هو الألم والمشقة والنَّصب " [٢]

٤- يصور الشيطانُ الزكاةَ للمرء على أنها جزية أو ضريبة جبرية قسرية ، قال اللهُ تعالى عمّن حالهُ كذلكَ : ﴿ **وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ**

---

[١] - الطبري ، **جامع البيان** ، ج:١٠، ص (١٢٠).

[٢] - ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) ، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** ، ص (٣٦/٣٥) .

إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة : ٧٥- ٧٧] قال القرطبي : " قال قتادة هذا رجل من الأنصار قال: لئن رزقني الله شيئا لأؤدينَّ فيه حقه ولأتصدقن فلما آتاه الله ذلك فعل ما نص عليكم فاحذروا الكذب ؛فإنه يؤدي إلى الفجور وروي عن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة الباهلي أنه ثعلبة بن حاطب الأنصاري " [١]

قلتُ : وساق قصتهُ مطولة ثمَّ أعقبها القرطبي فقال : " وثعلبة بدري أنصاري وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان... فما روي عنه غير صحيح قال أبو عمر ولعل قول من قال في ثعلبة أنّه مانع الزكاة الذي نزلت فيه الآية غير صحيح والله أعلم وقال الضحاك إنَّ الآية نزلت في رجال من المنافقين ؛نبتلِ بن الحارث وجدٌ بن قيس ومعتب بن قشير قلت (القرطبي): وهذا أشبه بنزول الآية فيهم إلا أنَّ قوله فأعقبهم نفاقا يدلُّ على أن الذي عاهد الله لم يكن منافقا من قبل إلاَّ أن يكون المعنى زادهم نفاقا ثبتوا عليه إلى الممات وقوله تعالى: ((إلى يوم يلقونه)) على ما يأتي الثانية: قال علماؤنا لما قال الله تعالى ((ومنهم من عاهد الله)) احتمل أن يكون عاهد الله بلسانه ولم يعتقدهُ بقلبه واحتمل أنْ يكون عاهد الله بهما ثم أدركته سوء الخاتمة فإنَّ الأعمال بخواتيمها والأيامُ بعواقبها " [٢]

---

١ - القرطبي ، **أحكام القرآن** ، ج:٨، ص (٢٠٩).

٢ - القرطبي ، **أحكام القرآن** ، ج:٨، ص (٢١٠).

تنبيه هام :

ساقَ الإمام الطبري مطوّلا بإسنادهِ سبب نزول هذه الآيات قال : " حدثني المثنى بن إبراهيم الطبري قال حدّثنا هشام بن عمار قال حدثنا محمد ابن شعيب قال حدثنا معاذ بن رفاعة السُّلمي عن أبي عبد الملك علي بن يزيد الإلهاني أنه أخبره عن القاسم بن عبد الرحمن أنه أخبره عن أبي أمامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله ﷺ : ويحك يا ثعلبة قليل تؤديْ شكره خيرٌ من كثير لا تطيقهُ قال :ثمَّ قال مرة أخرى فقال :أما ترضى أن تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئتُ أن تسير معي الجبال ذهبًا وفضة لسارت قال :والذي بعثك بالحقِّ لئن دعوتَ الله فرزقني مالا لأعطينَّ كل ذي حق حقه فقال رسول الله ﷺ "اللهم ارزق ثعلبة مالا قال :فاتخذ غنما فنمَت كما ينمو الدُّودُ فضاقتْ عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أدويتها حتى جعلَ يصلي الظهر والعصرَ في جماعة ويترك ما سواهما ، ثمَّ نمتْ وكثرتْ فتنحى حتى ترك الصلوات إلاَّ الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة ،فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار فقال رسول الله ﷺ ما فعل ثعلبة فقالوا :يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال: وأنزل الله ((خذ من أموالهم صدقة...)) الآية ونزلت عليه فرائض الصدقة فبعث رسول ﷺ =

قلتُ : إنَّ الذي أميلُ إليه أنَّ الآيات نزلتْ في رجل من المنافقين وسوسَ له الشيطانُ بألاعيبهِ وحيلهِ الخبيثة فطلبَ الرزقَ والمال والثروة وحينَ طُلبَ مِنهُ أن يؤتي حقَّ ذاك المال أعرضَ وماطلَ وسوّف وازدادَ بخلا على بُخله وأفاضَ بذكر المعاذير والحجج الواهية التي لا تسمن ولا تغني مِن الحقِّ شيئا والله أعلم .

=رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا مِن سَليم وكتبَ لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما مُرَّا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ما أدري ما هذا االانطلقا حتى تفرغا ثم عودوا إليَّ فانطلقا وسمع بهما السُّلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما تريد أن نأخذ هذا منك قال :بلى فخذوه فإنَّ نفسي بذلك طيبة وإنما هي لي فأخذوها منه فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فقال : ما هذه إلا أخت الجزية وانطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال: يا ريح ثعلبة قبل أن يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السُّلمي فأنزل الله تبارك وتعالى فيه ((ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين إلى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال :ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته، فقال :إنَّ الله منعني أنْ أقبلَ منك صدقتك فجعل يحثي على رأسه التراب فقال له رسول ﷺ: هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني ، فلما أبى أنْ يقبضَ رسولُ ﷺ رجع إلى منزله وقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئا ،ثم أتى أبا بكر حين استُخلف فقال :قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الأنصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها رسول الله ﷺ وأنا ل أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبضها ، فلما وُلّي عمر أتاه فقال يا أميرَ المؤمنين اقبلْ صدقتي فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا لا أقبلها منكَ فقبض ولم يقبلها ،ثمَّ وُلّي عثمان –رحمة الله عليه – فأتاه فسألهُ أنْ يقبلَ صدقته فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها منه وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رحمة الله عليه " الطبري ، **جامع البيان** ، ج:١٠، ص (١٨٩/١٩٠) .

قلتُ : هذه القصة جميع أسانيدها وردت من طريق يزيد بن علي الألهاني وهو ضعيف قال عنه ابن حجر في التقريب : " علي بن يزيد بن أبي زياد الألهاني أبو عبد الملك الدمشقي صاحب القاسم بن عبد الرحمن ضعيف ،مات سنة بضع عشرة ومائة " ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، **تقريب التهذيب**، تحقيق : محمد عوّامة ، ط٣، دار القلم –دمشق ،دار الرشيد –سوريا ، حلب ،١٤١١هـ – ١٩٩١م ، ص (٤٠٦) ترجمة رقم (٤٨١٧) .

هذا وقدْ أخبرنا القرآنُ الكريم عن العلاقة التشاركية في الوسوسة بين المنافقين وإبليسَ فقال : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤] ، وإذا تأملنا حالَ قارون صاحبِ الأموال الطائلة نجدُه أخِذَ بالوسوسة الشيطانية من هذا الجانب فكانَ هلاكهُ والخسفُ به قال الله تعالى في ذلك : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص : ٧٦- ٨١]

قلتُ : إنَّ المتأمّل في حال قارون يجدهُ قد غلّب وسوسة الشيطان على طاعة الرحمن؛ حيث نفخ الشيطانُ أوداجَه وطمسَ على عينيه بغشاوة الباطل وزينه له وأقنعهُ بفلسفتة الشيطانية أنَّ حقيقة هذا المال لا تعدوا كونه عربون محبة إلهية وأمارة تفضيل من الربِّ له على بقية النّاس ، وصنيع إبليس ها هنا لا يبعدُ عن صنيعه مع آدم حين وسوسَ لهما بالأكل من الشجرة يقول الله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠و٢١].

لطيفة:

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي : " قرأتُ ليلة من الليالي ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ إلى أنْ انتهيتُ إلى قوله ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ

﴿وَٱلنَّاسِ﴾ فقيلَ لي : شرُّ الوسواسِ ؛ وسواسٌ يدخلُ بينَكَ وبينَ حبيبكَ ، يُنسيكَ ألطافَهُ الحسنة ويذكّركَ أفعالكَ السيئةَ ، ويُقلّلُ عنكَ ذاتَ اليمين ، ويكثرُ عليكَ ذاتَ الشّمالِ ليعدلَ بكَ عن حُسنِ الظنِّ بالله ورسوله إلى سوء الظنِّ بالله ورسولهِ " [1]

---

[1] - السكندري ، ابن عطاء الله (ت) ، **لطائف المنن** ، تحقيق: عبد الحليم محمود ، د.ط ، مطبعة حسان ، د.م ، ١٩٧٨م ، ص (٣٠٥/٣٠٦) .

المبحث التاسع: الوسوسة في أمور يسّر الشارع فيها

اعلمْ أنَّ الإسلام دين سماحة ويسر لا دينُ تشدد وعسر والله تعالى يقول في كتابه العزيز : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] . ويقول أيضًا :﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح :٥و٦] . فهذه الآية تكرر فيها لفظ العسر مرّتين واليسر مرّتين وحقيقة الأمرِ أنَّ العسرَ واحد واليسرُ متعدد يقول ابن كثير : " العسر معروف في الحالتين فهو مفرد واليسر منكر فتعدد " [1].

وإذا عرفنا يسر الإسلام ولينه ورفقه بالعبادِ ، وجبَ علينا أنْ لفتَ الأذهانَ النيرة والعقولَ المتبصرة والقلوب الواعية إلى أمورٍ حياتية مختلفة يسّر الشارعُ فيها على العبادِ لكنَّ قوما بدافعِ الوسواس الشيطاني تنطّعوا فيها وتجاوزوا الحدَّ فيها مخالفين بذلك تيسير الشارع الرحيم ورأفته بالعباد ومن أبرز تلك الأمور التي وقع فيها التنطّع ما يأتي :-

١- وطْءُ طين المطر في الطريق ؛ فنجدُ قومًا يحملهم الوسواسُ على أنهم تنجسوا بسبب ذلك ,وأنهم فقدوا طهارتهم وانتقضَ الوضوء لديهم ، وهذه وسوسة شنيعة وهي على خلاف التوجيهات النبوية السامية ؛ فقد أخرجَ أحمد في مُسنده بإسنادٍ صحيح قال : "حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ يَعْنِي ابْنَ مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى عَنْ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ وَكَانَ رَجُلَ صِدْقٍ عَنِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ [2] قَالَتْ :قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا طَرِيقًا إِلَى الْمَسْجِدِ مُنْتِنَةً فَكَيْفَ نَصْنَعُ إِذَا مُطِرْنَا قَالَ أَلَيْسَ بَعْدَهَا

---

[1] - ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم** ، ج:٤، ص (٥٢٦) . قال الحافظ ابن حجر : " أخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود بإسناد جيد من طريق قتادة قال : "ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال :لن يغلب عسر يسرين إن شاء الله " انظر: ابن حجر ، **فتح الباري** ، ج: ٨ ، ص (٧١٢) .
قلتُ : لم أجد الرواية في مطبوع مسند عبد بن حميد ، هذا وقد روى الحديث غير واحد من الأئمة مرفوعا وموقوفا ومرسلا غير أنَّ جميع الطرق ضعيفة ولم يجوّد الحافظ غير إسنادِ عبد بن حميد .

[2] - قال المباركفوري في كتابه " تحفة الأحوذي " : " إن كون امرأة من بني عبد الأشهل صحابية ظاهر من نفس الحديث ألا ترى أنها شافهت رسول الله ﷺ وسألته بلا واسطة وقالت قلت:يا رسول الله إن لنا إلخ ولكن لما لم يطلعوا على اسمها ونسبها قالوا إنها مجهولة فهذا لا يقدح في كونها صحابية ولا يلزم من كونها صحابية أن يعلم اسمها ورسمها ". المباركفوري ، **تحفة الأحوذي** ، ج:١، ص (٣٧٢) .

طَرِيقٌ هِيَ أَطْيَبُ مِنْهَا قَالَتْ :قُلْتُ بَلَى قَالَ فَهَذِهِ بِهَذِهِ " [1] حكى العظيم آبادي عن شيخه الدهلوي أنه قال : " إنْ أصاب الذيلَ نجاسة الطريق ثمَّ مر بمكان آخر واختلط به بمكان آخر واختلط به طين الطريق وغبار الأرض وتراب ذلك المكان ويبستْ النجاسة المعلقة فيطهر الذيل المنجس بالتناثر أو الفرك وذلك معفو عنه من الشارع بسبب الحرج والضيق كما أن غسل العضو والثوب من دم الجراحة معفو عنه عند المالكية بسبب الحرج وكما أن النجاسة الرطبة التي أصابت الخف تزول بالدَّلك ويطهرالخفُ به عند الحنفية والمالكية بسبب الحرج وكما أنَّ الماء المستنقع الواقع في الطريق وإنْ وقع فيه نجاسة معفو عنه عند المالكية بسبب الحرج وإني لا أجد الفرق بين الثوب الذي أصابه دم الجراحة والثوب الذي أصابه المستنقع النجس وبين الذيل الذي تعلقت به نجاسة رطبة ثم اختلط به تراب الأرض وغبارها وطين الطريق فتناثرت به النجاسة أو زالت بالفرك فإنَّ حكمها واحد ، وما قال البغوي: إنَّ هذا الحديث محمول على النجاسة اليابسة التي أصابت الثوب ثم تناثرت بعد ذلك ففيه نظر؛لأن النجاسة التي تتعلق بالذيل في المشي في المكان القذر تكون رطبة في غالب الأحوال وهو معلوم بالقطع في عادة الناس فإخراج الشيء الذي تحقق وجوده قطعا أو غالبا عن حالته الأصلية بعيد " [2]

٢- المشيُ حافيا والصلاة دون غسل القدمين ؛ فبعضُ النّاس يتوسوسُ إذا مشى خطواتٍ دون خف أو نعل ، فتساورهُ الشكوكُ أنَّ وضوئه قد انتقضَ وطَهارَتهُ قد زالتْ ، والحقُّ أنَّ هذه الوسوسة هي خلافُ صنيع السَّلفِ الصالح فقد أخرجَ ابن ماجَه في سننه بإسناد حسن قال : " حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أُمِرْنَا أَلَّا نَكُفَّ شَعَرًا وَلَا ثَوْبًا وَلَا نَتَوَضَّأَ مِنْ مَوْطَإٍ " [3] قال فخر الحُسن الدهلوي في حاشيته على سنن ابن ماجه : "قوله

---

[1] - ابن حنبل ، أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ) ، **المسند** ، د.ط ، مؤسسة قرطبة – مصر د.ت ،ج:٦، ص (٤٣٥) حديث رقم (٢٧٤٩٢) .

[2] - العظيم آبادي ، **عون المعبود** ، ج:٢، ص (٣٣).

[3] - ابن ماجة ، محمد بن يزيد (ت ٢٧٥ هـ) ، **السنن** ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب كف الشعر في الثوب والصلاة ، ج:١، ص (٣٣١) حديث رقم (١٠٤٠) .

(مـن موطـإ) أي مـا يوطـأ مـن الأذى في الطريـق الوِطَـاء: الـدَّوْسُ بالقـدم أي :لا نعيـدُ الوضوءَ من الأذى بَلْ نغسلُ موضع الوطء من القدم " [1].

٣- الـصلاة في الخفـين والـنّعلين ؛ فـنرى بعـضهم يتوسـوسُ مـن الـصلاة في الخـفِ والـنعلين بدعوى نجاستهما ، وهذه وسوسة تخالف هـدي الرسـول الـكريم ﷺ ؛ أخـرجَ مـسلم في صحيحهِ من طريق أَبِي مَسْلَمَةَ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي فِي النَّعْلَيْنِ ؟ قَالَ :نَعَمْ " [2].

٤- إذا ألقيـتِ النجاسـة علـى المـصلي حـالَ صـلاتهِ أو وقعـتْ نجاسـة علـى المـصلي مثـل ذرق الطيـور ، فهنـاكَ قـومٌ يـصيبهمُ الوسـواسُ ويخـرجهم مـن الـصلاة والحـقُّ أن ذلـك لا يفسدها ؛ فقد أخرجَ البخاري في صحيحه من طريقِ عَمْرِو بْنُ مَيْمُونٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي شَيْئًا لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ قَالَ :فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ ..." [3]

٥- ركوب الطفل على ظهر المصلي في الـصلاة وسـيلانُ لعابـه علـى بـدن المـصلي أو ثيابـه ؛ فترى أقوامًا لا يحملونَ الأطفال لا في صلاة ولا في غيرهـا بدعوى أنّ ثيـابهم نجسة حتـى وإنْ كانت جافّة لا يُرى عليهـا أثـر البلـل ، وهـؤلاء وسـوسَ لهـم الـشيطانُ بهـذا التـصوُّر وجعلهم يظنون أنهم يُحسنونَ صنعا والحقُّ أنَّ هدي النبي ﷺ في ذلـك يخـالفُ وسـاوسـهم ؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه من طريق سعيد المقبُريٌ عن عمرو بـنِ سُليم عـن أبـي قَتَادَةَ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَـا النَّبِيُّ ﷺ وَأُمَامَـةُ بِنْـتُ أَبِـي الْعَـاصِ عَلَـى عَاتِقِـهِ فَـصَلَّى فَـإِذَا رَكَـعَ

---

[1] - السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) ، **شرح سنن ابن ماجه** ، د.ط ، قديمي كتب خانه – كراتشي ، د.ت ، ج:١ ، ص (٧٢) .

[2] - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : جواز الصلاة في النعلين ، ج:١ ، ص (٣٩١) حديث رقم (٥٥٥) .

[3] - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الوضوء ، باب : إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته وكان ابن عمر إذا رأى في ثوبه دما وهو يصلي وضعه ومضى في صلاته وقال بن المسيب والشعبي إذا صلى وفي ثوبه دم أو جنابة أو لغير القبلة أو تيمم فصلى ثم أدرك الماء في وقته لا يعيد ، ج:١ ، ص (٩٤) حديث رقم (٢٣٧) .

وَضَعَهَاْ وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا " [1] قال النووي في بيان حقيقة هذا الحديث :" فيه دليل لصحة صلاة من حمَلَ آدميًا أو حيواناً طاهرا من طير وشاة وغيرهما وأنَّ ثياب الصبيان وأجسادهم طاهرة حتى تتحقق نجاستها وأنَّ الفعل القليل لا يبطلُ الصلاة وأن الأفعال إذا تعددت ولم تتوال بل تفرقت لا تبطلُ الصلاة وفيه تواضع مع الصبيان وسائر الضَّعفة ورحمتهم وملاطفتهم وقوله رأيتُ النبي ﷺ يؤم الناس وأمامة على عاتقة هذا يدل لمذهب الشافعي رحمه الله ومن وافقه أنَّه يجوز حملُ الصبي والصبيَّة وغيرهما من الحيوان الطاهر في صلاة الفرض وصلاة النفل ويجوز ذلك للإمام والمأموم والمنفرد وحمَلَه أصحاب مالك ﷺ على النافلة ومنعوا جواز ذلك في الفريضة ،وهذا التأويل فاسد؛ لأن قوله يؤمُّ الناس صريح أو كالصريح في أنه كان في الفريضة وادعى بعض المالكية أنه منسوخ وبعضهم أنه خاص ﷺ وبعضهم أنه كان لضرورة وكل هذه الدعاوى باطلة ومردودة ؛فإنه لا دليلَ عليها ولا ضرورة إليها بل الحديث صحيحٌ صريح في جواز ذلك وليس فيه ما يخالفُ قواعد الشرع؛ لأن الآدمي طاهر وما في جوفه من النجاسة معفو عنه لكونه في معدته وثياب الأطفال وأجسادهم على الطهارة ودلائل الشرع متظاهرة على هذا والأفعال في الصلاة لا تبطلها إذا قلّت أو تفرقت وفعلُ النبي ﷺ هذا بيانا للجواز وتنبيها به على هذه القواعد التي ذكرتها وهذا يرد ما ادعاه الإمام أبو سليمان الخطابي : أنَّ هذا الفعل يشبه أن يكون كان بغير تعمُّد فحملها في الصلاة لكونها كانت تتعلق به ﷺ فلم يدفعها فإذا قام بقيتْ معه قال (أي الخطابي) :ولا يتوهم أنه حملها ووضعها مرة بعد أخرى عمدا ؛لأنه عمل كثير ويشغل القلب وإذ كان الخميصة شغله فكيف لا يشغله هذا ، هذا كلام الخطابي رحمه

---

[1] - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الأدب ، باب :رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ،ج:٥، ص (٢٢٣٤) حديث رقم (٥٦٤٧) . وأخرجه مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : جواز حمل الصبيان في الصلاة ، ج:١، ص (٣٥٨) حديث رقم (٥٤٢) و (٥٤٣) . قال : " حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب وقتيبة بن سعيد قالا حدثنا مالك عن عامر بن عبد الله بن الزبير ح وحدثنا يحيى بن يحيى قال:قلت لمالك: حدثك عامر بن عبد الله بن الزبير عن عمرو ابن سليم الزرقي عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن الربيع فإذا قام حملها وإذا سجد وضعها قال يحيى قال مالك نعم " وأخرجه أيضا من طريق عامر بن عبد الله بن الزبير عن عمرو بن سليم الزُّرقي عن أبي قتادة الأنصاري قال رأيتُ النبي ﷺ يؤمُ الناس و أمامة بنت أبي العاص وهي ابنة زينب بنتِ النبي ﷺ عاتقه فإذا ركعَ وضعها وإذا رفع من السجود أعادها ".

الله وهو باطل ودعوى مجردة ومما يردها قوله في صحيح مسلم فإذا قام حملها وقوله (فإذا رفع من السجود أعادها) وقوله في رواية غير مسلم (خرج علينا حاملا أمامة فصلّى) فذكر الحديث، وأما قضية الخميصة؛ فلأنها تشغل القلب بلا فائدة، وحمل أمامة لا نسلم أنه يشغل القلب وإنْ شغله فيترتب عليه فوائد وبيان قواعد مما ذكرناه وغيره فأحل ذلك الشغل لهذه الفوائد بخلاف الخميصة فالصواب الذي لا مَعْدِلَ عنه أن الحديث كان لبيان الجواز والتنبيه على هذه الفوائد فهو جائز لنا وشرع مستمر للمسلمين إلى يوم الدين والله أعلم" [1] وأخرج البخاري في صحيحه من طريق شُعْبَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي عَدِيٌّ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ ﷺ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ " [2] قال النووي في دلالة الحديث : " العاتق ما بين المِنكَب والعنق وفيه ملاطفة الصبيان ورحمتهم ومماستهم وأنَّ رطوبات وجههِ ونحوها طاهرة حتى تتحقق نجاستها ولم ينقل عن السلف التحفظ منها ولا يَخلوْنَ منها غالبًا " [3]

٦- ما يتعلّق بالحائض في غير موضع حيضها ؛ لقد ثبتَ في القرآنِ الكريمِ بصريح العبارة اعتزال النساء في المحيض لكونه أذى حتى يطهرنَ ، والمرادُ بالاعتزال عدم إتيان الزوج زوجته في موضع المعاشرة المعهود وقد أشارَ القرآن إلى ذلكَ في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] [4] **قلتُ** : إنّه ليسَ المرادُ من الاعتزالِ عدم الاقترابِ من المرأة بالكلية كما ترى

---

[1] - النووي ، **المنهاج** ، ج:٥، ص (٣١- ٣٢) .

[2] - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب المناقب ، باب :مناقب الحسن والحسين ، ج:٣، ص (١٣٧٠) حديث رقم (٣٥٣٩) .

[3] - النووي ، **المنهاج** ، ج:١٥، ص (١٩٤)

[4] - قال الطبري : " وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك عندي قول من قال معنى ذلك فأتوهن من قِبَل طُهرهن وذلك أنَّ كل أمر بمعنىً فنهي عن خلافه وضدّه وكذلك النهي عن الشيء أمْرٌ بضده وخلافه ،فلو كان معنى قوله ﷻ : ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فاتوهن من قبل مخرج الدم الذي نهيتكم أنْ تاتوهنَّ من قبله في حال حيضهنَّ لوجب أنْ يكون قوله ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ تأويله ولا تقربوهنَّ في مخرج الدم دون ما عدا ذلك من أماكن جسدها فيكون مطلقا في حال حيضها=

وإنّما هو عن موضع مخصوص ، غيرَ أنَّ أقوامًا وَسوسَ لهم الشيطانُ أمورًا غريبةً عجيبة ففهموا اعتزالَ المرأة في كلِّ شيء فتجدُ أحدهُم لا يشرب من الإناء الذي شربت منه زوجه الحائض ولا يأكل في الطبق الذي تأكل منه ، لا بل لا يأكل ما تطهو له من طعام أو تحضِّرهُ له ويتحرّز من وطء مواضع قدميها سيّما وأنه لا يوجدُ أثرٌ لدمِ حيض في تلكَ المواطئ ،والأنكا من كلِّ ذلكَ أنّه لا يلمسُ الأشياءَ التي تلمسها ودعواهُ في ذلكَ أنها نجسة من ملامسة زوجه الحائض لها ، ولَعَمْري هذا هو التنطع والوسوسة الشيطانية التي هي أبعدُ ما تكونُ عن الديانة والاحتياط ؛ فهي تخالفُ هدي الرسول الكريم الرحيم ﷺ ،أخرجَ البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: " كُنْتُ أُرَجِّلُ رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا حَائِضٌ "[1] وأخرجَ البخاريُّ في صحيحه :

=إتيانهن في أدبارهن ،وفي إجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يُطلق في حال الحيض مِن إتيانهن في أدبارهن شيئا حرَّمه في حال الطهر ولا حرَّم من ذلك في حال الطهر شيئا أحله في حال الحيض ما يعلم به فساد هذا القول ،وبَعْدُ فلو كانَ معنى ذلك على ما تأوله قائلو هذه المقالة لوجب أن يكون الكلام فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله حتى يكون معنى الكلام حينئذ على التأويل الذي تأوله ويكون ذلك أمرا بإتيانهن في فروجهن ؛لأن الكلام المعروف إذا أريد ذلك أن يقال أتى فلان زوجته من قبل فرجها ولا يقال أتاها من فرجها إلا أن يكون أتاها من قبل فرجها في مَكان غير الفرج ،فإنْ قال لنا قائل: فإنَّ ذلك وإنْ كان كذلك فليس معنى الكلام فأتوهن في فروجهن وإنما معناه فأتوهن من قبل قبُلِهنَّ في فروجهن كما يقال أتيت هذا الأمر من مأتاه قيل له إن كان ذلك كذلك فلا شك أن مأتى الأمر ووجهه غيره وأن ذلك مطلبه ،فإن كان ذلك على ما زعمتم فقد يجب أن يكون معنى قوله ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ غير الذي زعمتم أنه معناه بقولكم ائتوهن من قبل مخرج الدم ومن حيث أمرتم باعتزالهن ولكنَّ الواجب أن يكون تأويله على ذلك فأتوهن من قبل وجوههن في أقبالهن كما كان قول القائل ائت الأمر من مأتاه إنما معناه اطلبه من مطلبه ومطلب الأمر غير الأمر المطلوب فكذلك يجب أن مأتى الفرج الذي أمر الله في قولهم بإتيانه غير الفرج ،وإذا كان كذلك وكان معنى الكلام عندهم فأتوهن من قبل وجوههن في فروجهن وجب أن يكون على قولهم محرما إتيانهن في فروجهن من قبل أدبارهن وذلك إن قالوه خرج من قاله من قيل أهل الإسلام وخالف نص كتاب الله تعالى ذكره وقول رسول الله ﷺ "

انظر : الطبري ، **جامع البيان** ، ج:٢، ص (٣٨٩/٣٩٠) .

[1] - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الحيض ، باب : غسلُ الحائضِ رأسَ زوجها وترجيلِهِ ، ج:١، ص (١١٤) حديث رقم (٢٩١) . وأخرج البخاري أيضا **الجامع الصحيح** ، كتاب الحيض ، باب : غسلُ الحائضِ رأسَ زوجها وترجيلِهِ ، ج:١، ص (١١٤) حديث رقم (٢٩٢) ، من طريق هشام بن عروة عن عروة أنه سُئل أتخدمني الحائض أو تدنو مني المرأة وهي جنب فقال عروة كل ذلك=

عَنْ مَنْصُورِ ابْنِ صَفِيَّةَ أَنَّ أُمَّهُ حَدَّثَتْهُ أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَّكِئُ فِي حَجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ " [1] وأخرجَ البخاريُّ كذلكَ في صحيحهِ : عَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ قَالَ: سَمِعْتُ مَيْمُونَةَ تَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُبَاشِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ أَمَرَهَا فَاتَّزَرَتْ وَهِيَ حَائِضٌ " [2] وأخرجَ البخاري أيضا في الصحيح : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ مَيْمُونَةَ قَالَتْ :كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَأَنَا حِذَاءَهُ وَأَنَا حَائِضٌ وَرُبَّمَا أَصَابَنِي ثَوْبُهُ إِذَا سَجَدَ قَالَتْ :وَكَانَ يُصَلِّي عَلَى الْخُمْرَةِ " [3]

وأخرجَ مسلم في صحيحهِ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، نَاوِلِينِي الثَّوْبَ فَقَالَتْ :إِنِّي حَائِضٌ . فَقَالَ :إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ فَنَاوَلَتْهُ " [4] وأخرج مسلم في صحيحه : عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ فَيَشْرَبُ وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ " [5].

قلتُ : إنَّ حسبَ الموسوَسِين من هذا القبيلِ هذه الأدلةُ الصريحة الواضحة في بطلان وسوستهم وفسادِ نظرتهم وقصورِ فكرتهم ؛ فقد رأينا أنَّ النبيَّ ﷺ كان يعيش حياتهُ

=عليهن وكل ذلك تخدمني وليس على أحد في ذلك بأس أخبرتني عائشة أنها كانت ترجل تعني رأس رسول الله ﷺ وهي حائض ورسول الله ﷺ حينئذ مجاور في المسجد يدني لها رأسه وهي في حجرتها فترجله وهي حائض ".

1 - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الحيض ، باب : قراءة الرجل في حجرِ امرأتهِ وَهِيَ حائض وكان أبو وائل يرسل خادمه وهي حائض إلى أبي رزين فتأتيه بالمصحف فتمسكه بعلاقته ، ج:١، ص (١١٤) حديث رقم (٢٩٣) .

2 - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الحيض ، باب : مباشرةُ الحائض ، ج:١،ص (١١٥) حديث رقم (٢٩٧) .

3 - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب أبواب الصلاة ، باب: إذا أصابَ ثوب المصلّي امرأته إذا سجد ، ج:١، ص (١٤٩) حديث رقم (٣٧٢) . والخمرة "هي مقداراً ما يَضَع الرجُل عليه وجْهه في سجوده من حَصِير أو نَسِيجه خُوص ونحوه من النذْباتش ولا تكون **خُمْرة إلاّ في** هذا المقدار " ابن الأثير، **النهاية**، ج:٢، ص (٧٧) .

4 - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الحيض ، باب :جواز غسل الحائض رأسَ زوجها وترجيلهِ وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه ،ج:١، ص (٢٤٤) حديث رقم (٢٩٨) .

5 - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الحيض ، باب :جواز غسل الحائض رأسَ زوجها وترجيلهِ وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه ، ج:١، ص (٢٤٥) حديث رقم (٣٠٠) .

الطبيعية المعتادة مع زوجاتهِ –أمهاتِ المؤمنين – وقتَ حيضهنَّ ولم يكن هناك شيء يعتزلهُ منهنَّ إلا موضعَ الجماع وكان يباشرهنَّ مِن فوق الأزر ويشرب من موضع فيهِ أم المؤمنين عائشة وهي حائض وكانت تغسلُ رأسه وتمشطه له وتناوله ثوبه وقال لها : حيضتُكِ ليستْ في يدكِ ، وكان يصلي وثوبه يلامسُ زوجه أم المؤمنين ميمونة وهي إذ ذاك حائض... وعليه فلو كانَ هناك من محذور في تلكَ الأمور لكان النبي ﷺ أولَى الناسِ بتركها وهو الأتقى والأنقى عند الله تبارك وتعالى.

٧- الهرَّة وسؤرها ؛ فقد جرى قوم على أنَّ الهرة نجسة وإذا ما لمستْ شيئا أو شربتْ من شيء فإنَّ النجاسة تعتريه والحقُّ أنَّ هدي النبوة الشريفة على خلافِ تلك الوسوسة أخرج الترمذي في سننه بإسناد صحيح قال : " حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا مَعْنٌ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ حُمَيْدَةَ بِنْتِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ عَنْ كَبْشَةَ بِنْتِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَكَانَتْ عِنْدَ ابْنِ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ دَخَلَ عَلَيْهَا قَالَتْ فَسَكَبْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَتْ فَجَاءَتْ هِرَّةٌ تَشْرَبُ فَأَصْغَى لَهَا الْإِنَاءَ حَتَّى شَرِبَتْ قَالَتْ كَبْشَةُ فَرَآنِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ :أَتَعْجَبِينَ يَا بِنْتَ أَخِي فَقُلْتُ :نَعَمْ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ إِنَّمَا هِيَ مِنْ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ أَوْ الطَّوَّافَاتِ " [1].

---

[1] - الترمذي ، **السنن** ، كتاب الطهارة عن رسول الله ، باب : ما جاءَ في سؤر الهرَّة ، ج:١، ص (١٥٣/١٥٤) حديث رقم (٩٢) . قال أبو عيسى : " هذا حديث **حسن صحيح** وهو قول أكثر العلماء من أصحاب النبي والتابعين ومن بعدهم مثل الشافعي وأحمد وإسحاق لم يروا بسؤر الهرة بأسا وهذا أحسن شيء روى في هذا الباب وقد جود مالك هذا الحديث عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة ولم يأت به أحد أتمَّ من مالك ".

قلتُ : في الإسنادِ حميدة بنت عبيد بن رفاعة قال عنها ابن حجر في التقريب مقبولة، ولكنِّي لم أجد من تكلّم بجرح فيها ورأيت ابن حبّان ذكرها في الثقات وهو وإنْ كان متساهلا غيرَ أنه ما المانع قبولُ توثيقهِ لها ما دام لم يجرحها أحد وحالها مبني على الستر وعليه يحمل تصحيح الترمذي لهذا الحديث والله أعلم . انظر : ابن حجر ، **تقريب التهذيب** ، ص (٧٤٦) ترجمة رقم (٨٥٦٨) . ابن حبان ، محمد (ت ٣٥٤ هـ) ، **الثقات** ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، ط١، دار الفكر –د.م ، ١٣٩٥هـ –١٩٧٥م ،ج:٦، ص (٢٥٠) حديث رقم (٧٥٩٠) . وقال الدارقطني في العلل : " ورفعه صحيح ولعل من وقفه لم يسأل أبا قتادة هل عنده عن النبي ﷺ فيه أثر أم لا ؟ لأنهم حكوا فعل أبي قتادة حسب وأحسنها إسنادا ما رواه مالك عن إسحاق عن امرأته عن أمها عن أبي قتادة وحفظ أسماء النسوة وأنسابهن وجود ذلك ورفعَهُ إلى النبي ﷺ ". انظر : الدارقطني، علي بن عمر (٣٤٥هـ)=

٨- الذباب والبعوض الذي يقعُ على الثياب في موضع قضاء الحاجة؛ حيثُ إنَّ هناكَ قومًا حملتهم الوسوسة على القول : إنَّ سقوط الحشراتِ عليهم وعلى ثيابهم – سيّما وقتَ قضاء الحاجة في الخلاء – هو من قبيل إصابتهم بتلكَ النجاسة فتراهم يبادرون إلى خلع ثيابهم واستبدالها بأخرى أو تراهم يخصصون ثيابا للخلاء وأخرى للمسجد والصلاة ، والصحيح أنَّ في ذلك الصنع عنتٌ وتنطّع عظيمين ؛ فهذه أمور يسّر الشارعُ فيها على الخلقِ ولم يتشدَّد ولم يكن النبيُّ ﷺ يفعلها ولا صحابته ولا التابعونَ بإحسان ، حكى ابن القيم في كتابه " إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان " قال : "قال زين العابدين علي بن الحسين يوما لابنه: يا بني ،اتخذ لي ثوبا ألبسه عند قضاء الحاجة فإنّي رأيتُ الذباب يسقط على الشيء ثم يقع على الثوب ،ثمَّ انتبه فقال : ما كان للنبي ﷺ وأصحابه إلا ثوبٌ واحد فتركه "[1].

٩- حديث النَّفسِ بتطليق الزوجة ؛ فهناكَ قوم تجيش في نفوسهم وخواطرهم ومخيلاتهم أحاديث وأفكار قد يكونُ منها الهمُّ بتطليق الزوجة دون الفعلِ أو التكلُّم في ذلكَ ، فإذا ما بدرَ منه شيء من هذا القبيل وسوست نفسه له والشيطانُ أنَّ زوجته قد طلقت، والحقُّ أنَّ تلكَ الخواطر معفو عنها من قبل الشارعِ الحكيم ما دامتْ لم تدخل حيِّز التطبيق اللفظي؛ فقد أخرج البخاري في صحيحهِ :عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ

=**العلل** ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السّلفي ، ط١، دار طيبة – الرياض –١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ج:٦، ص (١٦١) .

[1] - ابن القيم ، **إغاثة اللهفان** ، ص (١٣٦) . وقال ابن القيم ، **إغاثة اللهفان** ، ص (١٥٥) : " المراضع ما زلن من عهد رسول الله ﷺ وإلى الآن يصلين في ثيابهن والرضعاء يتقيئون ويسيل لعابهم على ثياب المرضعة وبدنها فلا يغسلن شيئا من ذلك ؛ ولأن ريق الرضيع مطهر لفمه لأجل الحاجة كما أن ريق الهرة مطهر لفمها وقد قال رسول الله ﷺ : " إنها ليست بنجس إنها من الطوافين عليكم والطوافات " وكان يصغي لها الإناء حتى تشرب وكذلك فعل أبو قتادة مع العلم اليقيني أنها تأكل الفأر والحشرات والعلم القطعي أنه لم يكن بالمدينة حياض فوق القلتين تردها السنانير وكلاهما معلوم قطعا ومن ذلك : أن الصحابة ومن بعدهم كانوا يصلون وهم حاملو سيوفهم وقد أصابها الدم وكانوا يمسحونها ويجتزئون بذلك . وعلى قياس هذا مسح المرآة الصقيلة إذا أصابتها النجاسة فإنه يطهرها وقد نص أحمد على طهارة سكين الجزار بمسحها ومن ذلك : أنه نص على حبل الغسال أنه ينشر عليه الثوب النجس ثم تجففه الشمس فينشر عليه الثوب الطاهر فقال : لا بأس به وهذا كقول أبي حنيفة : إن الأرض النجسة يطهرها الريح والشمس وهو وجه لأصحاب أحمد حتى إنه يجوز التيمم بها "

ﷺ : " قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ قَالَ قَتَادَةُ :إِذَا طَلَّقَ فِي نَفْسِهِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ " [١] وقد بوَّب أبو داود في سننه على هذا الحديث وليس فيه عبارة قتادة فقال : " باب في الوسوسة بالطلاق " [٢] .قال الحافظ ابن حجر في معنى ما حكاه البخاري في ترجمة الباب حول الوسوسة وهو قوله (... وما لا يجوز مِنْ إقرار الموَسْوَس وقال عقبة بن عامر: لا يجوز طلاق الموسوس) قال : " أي لا يقع ؛لأن الوسوسة حديث النفس ولا مؤاخذة بما يقع في النفس ... وقد أسند الإسماعيلي عن عبد الرحمن بن مهدي قال :ليس عند قتادة حديث أحسن من هذا وهذا الحديث حجَّة في أنَّ الموسوس لا يقعُ طلاقه والمعتوه والمجنون أولى منه بذلك" [٣].

---

[١] - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الطلاق ، باب : الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون وأمرهما والغلط والنسيان في الطلاق والشرك وغيره لقول النبي ﷺ : "الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى "وتلا الشعبي لا تؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا وما لا يجوز من إقرار الموسوس .. وقال عقبة بن عامر لا يجوز طلاق الموسوس ، ج:٥، ص (٢٠٢٠) حديث رقم (٤٩٦٨) .

[٢] - أبو داود ، **السنن** ، كتاب الطلاق ، ج:٢ ، ص (٢٦٤) حديث رقم (٢٢٠٩).

[٣] - ابن حجر ، **فتح الباري** ، ج:٩، ص (٣٩٢/٣٩٣) .

المبحث العاشر: الآثار السلبية للوسوسة في حياة المسلم

إنَّ الوسوسة الشيطانية آفة خطيرة ، وسلاح شيطاني مرعبٌ عواقبهُ غيرُ حميدة على مختلف الأصعدة في حياة الأفراد والجماعات ؛ فالوسوسة من شأنها أن تحول النشاط إلى كسل والعزم إلى تراخٍ والقوة إلى ضعف ...إلخ ولكي نقف بشيء من البيان عند هذه القضية هلمَّ بنا نتعرَّفُ على أبرز الآثار السلبية للوسوسة في أبرز مناحي الحياة وهي كالآتي :-

أ – الجانب العقدي والإيماني :

إنَّ للوسوسة تأثيرا سلبيا عظيما على الجانبِ العقديِّ والإيماني لدى المرء المسلم وأبرز تلك الآثار السلبية :

١- ضعف الإيمان ، وتشويشُ القلبِ والعقلِ والفِكر .

٢- فقدانُ السمو الروحي وانشغاله بالقشور عن اللبِّ ، لا بل قد يقلبُ المُوسوسُ بسبب تنطعه معنى اللفظ رأسا على عقب يقول ابن القيم : " وبلغني عن (أحدهم) أنه كان شديد التنطع في التلفظ بالنية والتقعر في ذلك فاشتد به التنطُّع والتقعر يوما إلى أن قال : أصلي أصلي مرارا صلاة كذا وكذا وأراد أن يقول أداء فأعجم الدال وقال :أذاءً لله فقطع الصلاة رجل إلى جانبه فقال : ولرسوله وملائكته وجماعة المصلين "[1].

٣- ذهابُ سمة الخشوع في العبادات التي يقوم بها .

٤- غيابُ لذَّة المناجاة معَ الله تباركَ وتعالى .

٥- تحوُّل العبادةِ من راحة للقلوب والنفوس إلى عبء ثقيل وسبب من أسبابِ البعدِ عن الله ﷻ ، وربما قضى الأمر بأن يهدر وقت العبادة إذا كانت مخصوصة به كأن لا يصلي صلاة حتى يدخل وقتَ أخرى بسبب الوسْواس ؛ فقد سمعنا أنَّ أحد الموسوسين دخلَ إلى المسجدِ بعد صلاة الفجر وتوجهَ إلى بعضِ مَن كانَ في المسجد وقال له : أنقذني فقيل له : مِمَّ ؟ فأجابَ الموسوسُ : طَوَال الليلِ وأنا أريدُ أنْ أكبِّرَ لصلاة العِشاءِ فما قدرتُ أن أكبِّر فقيلَ له وقد قاربت الشمسُ في الطلوع – هلْ

---

[1] - ابن القيّم ، **إغاثة اللهفان** ، ص (١٣٥).

صـــلّيْت الفجـرَ ؟ فقـالَ الموسـوس : لم أسـتطع أن أصـلي العـشاءَ فكيـف أصلّي الفجرَ؟؟.

٦- الـدخولُ في دوّامـة الـشكّ وانقـلابُ المُسلّماتِ الإيمانيـة إلى فرضيات ، الأمـر الـذي يجعل الموسوسَ في مجال العقيـدة والإيمـانِ شـكّاكا ومِن ثمَّ مُلحِدًا لا يرعـوي إلى رشدٍ ولا يؤمنُ بالإسلامِ دينا ولا يعترفُ بـالقرآنِ الكـريم كتابا ومنهجا ولا بالـسنّة العطرة تبيانا ومرجعا .

حكـى ابـن القيـم في حـال المُوَسْوَسِ في العبـادات ومثّل لـذلكَ بالوسوسـة في الـصلاة فقال: " وربما كـان إماما فأفسد صلاة المأمومين وصارت الصلاة الـتي هـي أكـبر الطاعـاتِ أعظم إبعادًا له عن الله من الكبائر، وما لم تبطل به الصلاة من ذلك فمكروه وعدولٌ عن الـسنة ورغبـة عـن طريقـة رسـول الله ﷺ وهـديـه ومـا كـان عليـه أصـحابه، وربمـا رفـع صـوته بذلك فآذى سامعيه وأغرى الناسَ بذمه والوقيعة فيه فجمع على نفسه طاعة إبليس ومخالفة السنة وارتكاب شر الأمور ومحدثاتها وتعذيب نفسه وإضاعة الوقت والاشتغال بمـا ينقص أجره وفوات ما هو أنفع له " [١]

ثم اعلمْ أنَّ الوسواسَ قد يوقعُ الإنسان المُوَسـوس المستجيبُ لتلك الوسـاوسِ في دائـرة الكفرِ أو النفاقِ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " ولابد لعامة الخلق من هـذه الوسـاوس فمِنَ الناس مَن يجيبها فيَصيْرُ كافرًا أو منافقًا ومنهم من قد غمـر قلبـهُ الشهوات والـذنوب فـلا يحسُّ بها إلا إذا طلبَ الدين فإمَّا أن يصير مؤمنا وأما أن يصير منافقا ولهذا يعرض للنـاس مِن الوسـاوس في الصلاة مـا لا يعـرض لهم إذا لم يصلوا ؛ لأن الـشيطان يكـثر تعرُّضـه للعبـد إذا أراد الإنابة إلى ربه والتقرب إليه والاتصال به فلهذا يعـرض للمـصلين مـا لا يعـرض لغيرهـم ويعـرض لخاصـة أهـل العلـم والـدين أكـثر ممـا يعـرض للعامـة ولهذا يوجد عنـد طـلاب العلـم والعبادة من الوساوس والشبهات مـا لـيس عنـد غيرهـم؛ لأنـه لم يسلك شـرع الله ومنهاجـه بـل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهـم بالعلم والعبادة " [٢]

---

[١] - ابن القيم ، **إغاثة اللهفان** ، ص (١٣٩) .

[٢] - ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** ، ج:٧، ص (٢٨٢) .

ب- الجانب العقلي والنفسي:

واعلمْ أنَّ الوسوسة خطيرةٌ على العقلِ والنفسِ ومن آثارها السلبية في هذا المضمار على الموَسْوَسِ :

١- القلقُ الدائم والارتباك في التصرُّفاتِ وفقدان التركيز .

٢- انعدَامُ الثقةِ بالنفسِ والشُّعورُ بالانهزامية .

٣- الرّهابُ أو الخوفُ غير المُبرَّر ، حكى ابن القيم عن ابن قدامة المقدسي في رسالته ذمّ الوسواس أنه قال : " وقال لي إنسان منهم قد عجزتُ عن قول السلام عليكم فقلت له: قل مثل ما قدْ قلتَ الآن وقد استرحت " [١].

قلتُ : وبهذا يظهرُ لكَ أنَّ الوسوسة عذابٌ من الشيطانِ للإنسانِ والعاقلُ الفطن هو من يقلبُ العذابَ على الشيطان يقول ابن القيم في ذلك : " فمن لم يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر الله تعالى وتوحيده واستغفاره وطاعته عذَّبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار ، فلا بدَّ لكل أحد أن يعذب شيطانه أو يعذبه شيطانه.

وتأمل كيف جاء بناء الوَسواس مكرَّرا لتكريره الوسوسة الواحدة مرارا حتى يعزم عليها العبد وجاء بناء الخناس على وزن الفعَّال الذي يتكرر منه نوع الفعل ؛ لأنه كلما ذكر الله انخنَسَ ثمَّ إذا غفل العبد عاوده بالوسوسة فجاء بناءُ اللفظين مطابقا لمعنييهما " [٢].

ج- الجانب الاجتماعي :

والوسوسة ليست تقف آثارها السلبية عند الجوانب المتقدمة الذكر بل تتعداها لتشمل الجانبَ الاجتماعي في حياة الموسوس ومن أبرز تلك الآثار :

١- فقدانُ الموسوس الاحترام والنظرةُ الانتقاصية له من قِبل الآخرين . قال ابن الجوزي: " وقد حكى لي بعض الأشياخ عن ابن عقيل حكاية عجيبة ؛ أن رجلا لقيه فقال : إني أغسل العضو وأقول ما غسلته وأكبر وأقول ما كبرت فقال له

---

١ - ابن القيم ، **إغاثة اللهفان** ، ص (١٣٥) .

٢ - ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) ، **بدائع الفوائد** ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا وآخرون ، ط١ ، مكتبة نزار مصطفى الباز –مكة المكرمة ، ١٤١٦هـ ، ج:٢، ص (٤٨٠) .

ابن عقيل : دَعِ الصلاة فإنها ما تجبُ عليك فقال قوم لابن عقيل كيف تقول هذا!!؟ فقال لهم : قال النبيﷺ رفع القلم عن المجنون حتى يفيق " ومَن يكبر ويقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة " [١].

وقد أشارَ ابنُ القيم إلى أنَّ الوسوسةَ مِنْ الموَسْوس مِن شأنها : " تعريض نفسه لطعنِ الناس فيه وتغريرِ الجاهل بالاقتداء به فإنه يقول: لولا أنَّ ذلك فضلٌ لما اختارهُ لنفسه، وأساء الظنَّ بما جاءت به السنة وأنه لا يكفي وحده، وانفعال النفس وضعفها للشيطان حتى يشتد طمعهُ فيه وتعريضه نفسه للتشديد عليه بالقدْر (أي : التضييق) عقوبة له ، وإقامته على الجهل ورضاه بالخبل في العقل " [٢].

قلتُ : إنَّ الوسوسة مِن شأنها أنْ تؤدّي إلى حصول فجواتٍ خطيرة في النسيج الاجتماعي - تذهبُ بمصداقية المجتمعِ إلى حافة الهاوية واللاشيء ؛ فالموسوس مزدوج الشخصية والتصرُّفات ، ففي لحظة هو من العقلاء وفي أخرى أخرقٌ أو مجنون.

٢- تنحيةُ الموسوَس عن المواقعِ الحسّاسة في المجتمع ومراكزِ صنع القرار ؛ لأنه متردد فيما يصدرُ عنه مرتبكٌ غير حازم لأمره .

٣- عجز الموسوس عن تحقيق الاستقرار الأسري لنفسه ؛ حيث لا يكونُ قادرا – بسبب وسوستهِ – على تكوين أسرة نموذجية فاعلة ترفدُ المجتمعَ بكلِّ ما هو نافعٌ وبنّاء، بل إنَّ الوسوسة قد تكونُ سببا في تمزيق الأسرة وشتاتها وتطليق الزوجة بغير وجه حق قال ابن القيم : " وحكى لي مِن أثق به عن موسوس عظيم رأيتهُ أنا يكرر عقد النية مرارا عديدة فيشق على المأمومين مشقة كبيرة فعرضَ لهُ أنْ حلفَ بالطلاق أنَّهُ لا يزيد على تلك المرة فلم يدعه إبليسُ حتى زاد ففرَّق بينه وبين امرأته فأصابهُ لذلك غم شديد وأقاما متفرقين دهرًا طويلا حتى تزوجت تلك المرأة برجل آخر وجاءه منها ولد ثمَّ إنه حنث في يمين حلفها ففرق بينهما وردت إلى الأول بعد أن كاد يتلفُ لمفارقتها " [٣]

---

[١] - ابن الجوزي ، **تلبيس إبليس** ، ص (١٦٩) .

[٢] - ابن القيم ، **إغاثة اللهفان** ، ص (١٣٩) . قال الشوكاني : " الوسوسة هي من مقدمات الجنون كما نشاهده مَن ابتلي بالشك في الطهارة ".

[٣] - ابن القيم ، **إغاثة اللهفان** ، ص (١٣٤/١٣٥).

د- الجانب الدَّعوي :

اعلمْ أنه لمَّا كان المسلم مطالبا بالدعوة إلى ربِّه على أحسن نسق وأفضَلِ مِثالٍ لقوله ﷻ : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] لزمَ عندها أنْ يكون قدوةً صالحة وأسوة للآخرينَ ، غيرَ أنَّ المُوَسوسَ خالٍ من ذلك لاضطرابِ أقوالهِ وأفعالهِ وسوء تصرفاتهِ وغلوِّه في الدين ومخالفةِ السنةِ وطاعةِ إبليسَ الرجيم وقَبُولِ غشه وإنَّكَ ترى أنَّ كثيرًا من الموسوسِينَ العالمِينَ بالشريعة وتفصيلاتها يقرُّونَ بأخطائهم الوسواسية ويفتونَ بخلافِ ما يَفعلونَ وترى أحدهم يقول : لا تقتدوا بنا ، ولعمريْ هذا أعجبُ مِنَ العجبِ ؛ فما داموا قادرين على تركِ الخطأ والرجوع عنه فليتَ شِعري لماذا يفعلونهُ ولا ينكرونهُ على أنفسهِم ؟!!

<u>ومن الآثار السلبية للوسوسة علاوة على ما تقدّم:</u>

١- أن يجني الموسوسُ غضبَ الله تعالى لكونه يهدر العبادات ويفوتُ أوقاتها بوسوستهِ دون مسوغ شرعي .

٢- أن يحبط عملهُ ويزولَ أجرهُ ؛ وذلكَ لأنَّ الموسوسَ أحدَثَ أمرًا أو أمورا ليست من الدينِ في شيء فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ " [1]. وعليه فالموسوسُ هو مُحدث لأمورٍ ليست من الدين في شيء .

٣- تضييع الوقتِ وإهدارُ لحظاتِ العمرِ ؛ فالموسْوَسُ في الطهارة أو الصلاة مثلا يحرمُ نفسهُ بسبب انشغاله مما لا طائل تحته – يحرمُ نفسه من ذكر الله تعالى والإتيان بالنوافل والاستزادة من الطاعات وفعل الصالحات وحسبكَ حال الصالحين السابقين من الأمة نموذجًا فريدًا في الحرصِ على الوقتِ شعارهم : الوقتُ كالسيفِ إنْ لم تقطعهُ قطعك وشعارهم أيضا : كلُّ يوم تطلعُ فيهِ الشمسُ وتغيب لمْ أزدَدْ فيه علما أو خيرا فلا باركَ اللهُ في ذلكَ اليوم .

---

[1] - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الصلح ، باب : إذا اصطلحوا على صلح جَور فالصلحُ مردود ، ج:٢، ص (٩٥٩) حديث رقم (٢٥٤٩) .

٤- أن تُشغلَ ذمّة المرء الموسوسِ بالزائدِ على حاجتهِ وقد أشار إلى ذلك ابن القيم فقال: " ومن مفاسد الوسواس أنه يشغل ذمته بالزائد على حاجته إذا كان الماء مملوكا لغيره كماء الحمام فيخرج منه وهو مرتهن الذمة بما زاد على حاجته ويتطاول عليه الدّين حتى يرتهن من ذلك بشيء كثير جدا يتضرر به في البرزخ ويوم القيامة " [1]

---

[1] - ابن القيم ، **إغاثة اللهفان** ، ص (١٤٢).

المبحث الحادي عشر: القواعدُ الناجعة في معالجة الوسوسة.

١- الإكثارُ من الاستعاذة بالله من الشيطانِ الرجيم وقراءة القرآن عموماً وسورة البقرة و الإخلاص والفلق والنّاس خصوصاً ؛ فأمّا الاستعاذة فقد أرشدنا القرآن الكريم إليها في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] قال الطبري : " يعني جل ثناؤه بقوله ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ ﴾ وإمّا يُغضبنكَ من الشيطان غضبٌ يصدك عن الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم ،﴿ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾ يقول: فاستجر بالله من نزغه ،﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ يقول: إنَّ الله الذي تستعيذ به من نزغ الشيطان سميع لجهل الجاهل عليك ولاستعاذتك به من نزغه ولغير ذلك من كلام خلقه لا يخفى عليه منه شيء عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه " [1]، وأمّا ما ثبت في سورةِ البقرة فقد أخرجَ مسلم في صحيحه : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ " [2].

ثمَّ اعلم أنَّ قراءة سورة الإخلاصِ تدفع وسواس التفكّر في ذاتِ الله لما فيها من المعاني الكابحةِ لجماحِ ذلك ، ومثل ذلكَ آية الكرسي من سورة البقرة ، وكذا المعوذتين فقد أخرج مسلم في صحيحهِ : عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ " [3] ، هذا وأخرجَ البخاريُّ في صحيحهِ : عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

---

[1] - الطبري ، **جامع البيان** ، ج:٩، ص (١٥٦) .

[2] - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، بابُ :استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد ، ج:١، ص (٥٩٣) حديث رقم (٧٨٠).

[3] - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضلُ قراءة المعوذتين ، ج:١، ص (٥٥٨) حديث رقم (٨١٤).

النَّاسِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " [١]

٢- تركُ التنطُّع في سائر الأمور الدينية والدنيوية ؛لأنَّ التنطّع هو البوابة الكبرى للوسوسة ، فقد أخرج مسلم في صحيحه : عَنْ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا " [٢] قال النووي : " المتنطعون أي: المتعمِّقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم " [٣] وساق الحافظ ابن حجر أمثلة للتنطع فقال : " ومثله الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع وهي نادرة الوقوع جدًا فيصرف فيها زمانا كان صرفهُ في غيرها أولى ولا سيما إنْ لزم من ذلك إغفال التوسع في بيان ما يكثر وقوعه ،وأشد من ذلك في كثرة السؤال البحثُ عن أمور مغيبة ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها ،ومنها ما لا يكون له شاهد في عالم الحس كالسؤال عن وقت الساعة وعن الروح وعن مدة هذه الأمة إلى أمثال ذلك مما لا يعرف إلا بالنقل الصرف والكثير منه لم يثبت فيه شيء فيجب الإيمانُ به من غير بحث... وقال بعض الشرَّاح :ومثال التنطع في السؤال حتى يفضي بالمسئول إلى الجواب بالمنع بعد أن يفتى بالإذن أن يُسأل عن السِّلع التي توجد في الأسواق هل يكره شراؤها ممن هي في يده منْ قبلِ البحثِ عن مصيرها إليه أو لا ؟ فيجيبه بالجواز فإن عاد فقال: أخشى أن يكون من نهب أو غصب ؟ ويكون ذلك الوقت قد وقع شيء من ذلك في الجملة فيحتاج أنْ يجيبه بالمنع ويقيد ذلك إنْ ثبت شيء من ذلك حرم وإن تردد كره أو كان خلاف الأولى ولو سكتَ السائل عن هذا التنطع لم يزد المفتي على جوابه بالجواز ، وإذا تقرر ذلك فمن يسد باب المسائل حتى فاته معرفة كثير من الأحكام التي يكثر وقوعها فإنه يقل فهمه وعلمه ومن توسع في تفريع المسائل وتوليدها ولا سيما فيما يقل وقوعه أو يندر ولا سيما إن كان الحاملُ على ذلك المباهاة والمغالبة ؛فإنه يذم فعله وهو عين الذي كرهه السلف ، ومن أمعن

[١] - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل المعوذات ،ج:٤، ص (١٩١٦) حديث رقم (٤٧٢٨) .

[٢] - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب العلم ، باب : هلك المتنطعون ،ج:٤، ص (٢٠٥٥) حديث رقم (٢٦٧٠) .

[٣] - النووي ، **المنهاج** ، ج:١٦، ص (٢٢٠) .

في البحث عن معاني كتاب الله محافظا على ما جاء في تفسيره عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه الذين شاهدوا التنزيل وحصل من الأحكام ما يستفاد من منطوقه ومفهومه وعن معاني السنة وما دلت عليه كذلك مقتصرا على ما يصلح للحجة منها ؛فإنه الذي يُحمَدُ وينتفع به وعلى ذلك يحمل عمل فقهاء الأمصار من التابعين فمنْ بعدهم حتى حدثت الطائفة الثانية فعارضتها الطائفة الأولى فكثر بينهم المراء والجدال وتولّدتِ البغضاء وتسمَّوا خصومًا وهم من أهل دين واحد والواسط هو المعتدل من كل شيء " [1].

٣- تجنُّب التبوّل في المغتسل أثناءَ الاغتسال ؛ فإن التبّول في المغتسل ومثاله في زماننا (البانيو والشاور) مِنْ شأنهِ أنْ يُهيجَ الوسوسةَ في الطهارة عند المرء ، وعليه فتجنُّبه يقطع حبائل تلك الوسوسة الشيطانية أخرجَ ابن أبي شيبة في مصنّفه موقوفا بإسنادٍ صحيح قال : " حَدَّثَنَا شَبَابَةُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ صُهْبَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ يَقولُ : الْبَوْلِ فِي الْمُغْتَسَلِ يَأْخُذُ مِنْهُ الْوَسْوَاسُ " [2] قال المباركفوري : " الوسواس يحصل من البول في المغتسل؛ لأنه يصير الموضع نجسًا فيقع في قلبه وسوسة بأنه هل أصابه شيء من رشاشة أم لا ؟ " [3]

٤- أنْ ينضحَ المرءُ ثوبه مما يلي فرجه بعد التبوُّل ؛ لإبطال الوسواسِ فقد أخرجَ النسائي في السنن الصغرى بإسنادٍ صحيح قال : " أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مَسْعُودٍ قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدُ ابْنُ الْحَارِثِ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ الْحَكَمِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا تَوَضَّأَ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ مَاءٍ فَقَالَ بِهَا هَكَذَا وَوَصَفَ شُعْبَةُ نَضَحَ بِهِ فَرْجَهُ فَذَكَرْتُهُ لِإِبْرَاهِيمَ فَأَعْجَبَهُ قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ السُّنِّيِّ :الْحَكَمُ هُوَ ابْنُ سُفْيَانَ

---

[1] - ابن حجر ، **فتح الباري** ، ج:١٣، ص (٢٦٧) .

[2] - ابن أبي شيبة ، **المصنف** ، باب : من كان يكره أن يبول في مغتسله ،ج:١، ص (١٠٦) .

[3] - المباركفوري ، **تحفة الأحوذي** ، ج:١، ص (٨٠).

الثَّقفِيُّ ﷺ " [1] وساقَ البيهقي ذات الحديث في السنن الكبرى وبوَّب له بقولهِ " باب الانتضاح بعد الوضوء لردِّ الوسواس " [2].

قلتُ : والمرادُ من صنيع النبيﷺ تعليم أمته وإلا فالنبيﷺ معصوم من الوسوسة ، فيقصد من النضح بيانُ أنه إذا استعملَ المرءُ الماء بهذه الطريقة نسب ما يخاطر نفسه ممَّا يجده من البلل إلى الماء وارتفع الوسواس .

٥- عدم الإقدام على الصلاة حال مدافعة الأخبثان ولا بمحضر الطعام ؛ فالمصلِّي – في حالِ مدافعةِ الأخبثان أو أحدهما أو بوجود الطعام – يكون فاقدا للتركيز والخشوع والحضور في الصلاة ، وبالتالي فإنَّ ذاكُم يوفِّر للوسواس مناخا ملائما وبيئة خِصبة لبثِّ وساوسه وتضييع الصلاة على المصلي ،ومن هنا ينبغي للمصلي الصلاةَ وهو مرتاح لا يدافعه في ذلك شيء من البول أو الغائط ،كما ينبغي أنْ لا يشغله الطعام الممدود على المائدة فيقدِّم الطعام على الصلاة ، فقد أخرج مسلم في صحيحه قال :" حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا حَاتِمٌ هُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ قَالَ تَحَدَّثْتُ أَنَا وَالْقَاسِمُ عِنْدَ عَائِشَةَ ﷺ حَدِيثًا وَكَانَ الْقَاسِمُ رَجُلًا لَحَّانَةً وَكَانَ لِأُمِّ وَلَدٍ فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ :مَا لَكَ لَا تَحَدَّثُ كَمَا يَتَحَدَّثُ ابْنُ أَخِي هَذَا ؟!أَمَا إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ مِنْ أَيْنَ أُتِيتَ هَذَا أَدَّبَتْهُ أُمُّهُ وَأَنْتَ أَدَّبَتْكَ أُمُّكَ قَالَ: فَغَضِبَ الْقَاسِمُ وَأَضَبَّ عَلَيْهَا فَلَمَّا رَأَى مَائِدَةَ عَائِشَةَ قَدْ أُتِيَ بِهَا قَامَ قَالَتْ: أَيْنَ قَالَ: أُصَلِّي. قَالَتْ : اجْلِسْ قَالَ :إِنِّي أُصَلِّي. قَالَتْ :اجْلِسْ غُدَرُ إِنِّي سَمِعْتُ ﷺ يَقُولُ: لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ " [3] وأخرج البخاري في صحيحه : عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : إِذَا وُضِعَ الْعَشَاءُ وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَابْدَءُوا

---

[1] - النسائي، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ)، **السنن الصغرى (المجتبى)**، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدّة، ط٢، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م، ج:١، ص (٨٦) حديث رقم (١٣٤) .

[2] - البيهقي أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) ، **السنن الكبرى** ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، د.ط، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م ، ج:١، ص (١٦١).

[3] - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ،باب:كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال وكراهة الصلاة مع مدافعة الأخبثين ج:١، ص (٣٩٣) حديث رقم (٥٦٠). **قلتُ** : غُدرُ : معدولُ غادرِ للنداء . ابن الأثير ، **النهاية** ، ج:٣، ص (٣٤٥) والمعنى يراد منه التحبب والتلطف في الترضي وتطييب الخاطر .

بِالْعَشَاءِ وَعَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ وَعَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ تَعَشَّى مَرَّةً وَهُوَ يَسْمَعُ قِرَاءَةَ الْإِمَامِ "[1] وقد بوَّب البيهقيُّ على هذا الحديث فقال : " باب ترك الجماعة بحضرة الطعام ونفسه إليه شديدة التوقان "[2].

٦- عدمُ الصلاة في الأماكن التي يكثرُ فيها الضجيج والصخب ؛ فبعض النَّاس لا يحلو له أنْ يصلي إلا في غرفة الجلوس ساعة اجتماع العائلة وتحادثهم أو في مكان يرتفع فيه صوت المذياع أو التلفاز ، فتراه يصلي وينصتُ لذلكَ الصخب ؛بحيث لا تغيبُ عنه شاردةٌ ولا واردة ، وهذا الأمر مِن شأنهِ إذهابُ الخشوع في الصلاة فيهيج الوسواسُ على المرءِ في صلاتهِ فلا يدري ما قرأ في الركعة الأولى ؟وكم صلّى أثنتين أم ثلاثة؟، وفي هذه الحالة يكون السهو منه ليسَ طبيعيا وإنّما بمؤثر خارجي هو الضجيج والصخب ، وإذا تأملنا الخطابَ القرآني وجدناه يحثُ على الخشوع في الصلاة يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١و٢]. قال الحكيم الترمذي في حقيقة الخشوع : " فالوقوف في الصلاة ينبغي أنْ يكون وقوفَ تذلل و تخشع و الخشوع البالغ خشوع القلب... و قد يتخشع الرجل بأركانه وليس بخاشع فإنْ أراد بخشوعه ابتغاءَ وجه الله تعالى فهو محمود و على ذلك مأجور و إنْ كان لغير الله تعالى فهو تماوت و عليه ممقوت... فأهل الظاهر يحفظون لحظات العيون عن الالتفات يمنة و يسرة و جوارحهم عن الحركات في غير ما أمروا به و أهل الباطن قد جاوزوا ذلك و حفظوا لحظات القلوب لئلا تلحظ أحدًا سواه فتكون قلوبهم منتصبة بين يدي الله تعالى كما انتصبتْ جوارحهم في الظاهر و ذلك بما ولج قلوبهم من عظمة الله تعالى و جلاله فهابت و استقرتْ في تلك الهيبة لله تعالى فانتفى عنهم وساوس نفوسهم "[3].

٧- تركُ الصلاة في الأماكن التي نهى الشارع عن الصلاةِ فيها ؛ فإنَّ تلكمُ الأماكن تهيّج الوسواس عند المرء من حيثُ أنها طاهرة أو نجسة أخرج مسلم في صحيحه :عَنْ

---

[1] - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الأطعمة ، باب : إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان ابن عمر يبدأ بالعشاء وقال أبو الدرداء من فقه المرء إقباله على حاجته حتى يقبل على صلاته وقلبه فارغ، ج:١، ص (٢٣٩) حديث رقم (٦٤٢) .

[2] - البيهقي أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) ، **السنن الكبرى** ، ج:٣، ص (٧٢) .

[3] - الحكيم الترمذي ، **نوادر الأصول** ، ج:٢، ص (١٧١- ١٧٤) .

جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: ...أُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ ؟ قَالَ :نَعَمْ قَالَ أُصَلِّي فِي مَبَارِكِ الْإِبِلِ قَالَ لَا " [1] وأخرجَ أبو داود في سننه بإسنادٍ حسن قال : " حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الصَّلَاةِ فِي مَبَارِكِ الْإِبِلِ فَقَالَ : لَا تُصَلُّوا فِي مَبَارِكِ الْإِبِلِ فَإِنَّهَا مِنْ الشَّيَاطِينِ وَسُئِلَ عَنْ الصَّلَاةِ فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ فَقَالَ : صَلُّوا فِيهَا فَإِنَّهَا بَرَكَةٌ " [2] قال ابن عبد البر : "وأصح ما قيل في الفرق بين مَراح الغنم وعَطَن الإبل أنَّ الإبلَ لا تكاد تهدأ ولا تقر في العطن بل تثور فربما قطعتْ على المصلي صلاته وجاء في الحديث الثابت أنها جنٌّ خلقت من جن فبين العلة في ذلك وقد قيل إنما كان يستتر بها عند الخلاء وهذا لا يُعرف في الأحاديث المسندة " [3].

٨- المداومة على صلاة الجماعة سواء أكانَ ذلك في المسجدِ أو البيتِ أو موقع العمل ؛ فإنَّ صلاة الجماعة تطفئ الوسوسة كما تطفئ الماء النَّار ، كما أنها تبعدُ شرود الذهن عن العبد إذا كان متابعا قراءة الإمام متفكرا في المقروء خاشعا لله تعالى .

٩- إذا كان المرء يعهدُ من نفسه أنَّ الإطالة في الصلاة وأفعالها تقودهُ إلى الوسوسة وجبَ عليهِ أن لا يُطيل مخافة أن يهيج الوسواس في نفسه ، وكانَ الصحابة دأبهم في الصلاة الإيجاز والإتمام خشية الوسواس ؛ فقد أخرج ابن أبي شيبة بإسنادٍ صحيح قال : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ عِمْرَانَ عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ قَالَ: كَانُوا يُتِمُّونَ وَيُوجِزُونَ وَيُبَادِرُونَ الوَسْوَسَةَ " [4] **قلتُ** : يقصد بكلامه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين .

---

[1] - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الحيض ، باب الوضوء من لحوم الإبل ، ج:١ ، ص (٢٧٥) حديث رقم (٣٦٠) .

[2] - أبو داود ، **السنن** ، كتاب الصلاة ، باب : النهي عن الصلاة في مبارك الإبل ، ج:١ ، ص (١٣٣) حديث رقم (٤٩٣) .

[3] - ابن عبد البر ، **التمهيد** ، ج:٢٢ ، ص (٣٣٣).

[4] - ابن أبي شيبة ، **المصنَّف** ، ج:١ ، ص (٤٠٦) حديث رقم (٤٦٧٣) . وأخرجَ أيضا بإسنادٍ صحيح قال : " حدثنا عبدة عن ابن أبي عروبة عن أبي رجاء قال رأيت الزبير بن العوام صلى صلاة خفيفة فقلت: أنتم أصحاب رسول الله ﷺ أخف الناس صلاة فقال إنا نبادر هذا الوسواس ". وكذا أخرج بإسنادٍ صحيح قال: " حدثنا وكيع عن سفيان عن قيس عن بشر عن خليف الثوري عن عمار قال: احذفوا=

١٠- أنْ يبادرَ المرءُ إلى كظمِ التثاؤبِ إذا وقعَ منهُ داخلَ الصلاة أو خارجها ؛ فق أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَثَاوَبَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ " [1].

١١- مبادرة الوسواسِ في أثناء الصلاة بالاستعاذة منه والتفل عن اليسار ثلاثا ؛ أخرج الإمام مسلم في صحيحه: " أَنَّ عُثْمَانَ ابْنَ أَبِي الْعَاصِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي " [2].

<u>قلتُ</u> : ينبغي أنْ يُعلَمَ أنَّ التفلَ عن اليسار لا يكونُ معهُ ريقٌ وإنّما هو نفثٌ ونفخ ولا يكونُ بالالتفات بكامل الجسم لئلا يفقد المرء استقبالَ القِبلة وإنّما يكونُ بتحريك الرقبة قليلا إلى اليسار ، وهذا الأمرُ يكون في الصلاة الفردية وليسَ في صلاة الجماعة فهُو لا يناسب آدابَ الجماعة ، أمَّا الاستعاذة فتكونُ في صلاة الجماعة وكذا في الصلاة الفردية واللّه تعالى أعلم .

١٢- إظهارُ المجاهدة والجَلَدِ في دفعِ الوسواسِ والتصبُّر عَنْ الانقياد وراءهُ ؛ وينبغي لمَنْ كان يشتكي الوسواسَ أن لا يقولَ إنني لا أقدرُ أن أتلهَّى عنه ، فيقال له :الأمر يحتاج إلى نية خالصة وعزيمة صادقة ومبالغة في التصبُّر والدفعِ للوسواسِ ؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيدٍ الخدري أنَّ النبي ﷺ قال: " وَمَن يَتَصبَّر يُصَبِّرْهُ اللَّهُ... وَلَنْ تُعْطَوا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ " [3].

=هذه الصلاة قبل وسوسة الشيطان ". انظر : ابن أبي شيبة ، **المصنّف** ، ج:١، ص (٤٠٦) حديث رقم (٤٦٦٦) و (٤٦٦٧) .

[1] - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الصلاة ، باب:تشميت العاطس وكراهة التثاؤب ،ج:٤، ص (٢٢٩٣) حديث رقم (٢٩٩٥) .

[2] - مسلم ، **الجامع الصحيح** ، كتاب السلام ، باب:التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة ، ج:٤، ص (١٧٢٨) حديث رقم (٢٢٠٣) .

[3] - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الرقاق ، باب : الصبر عن محارم الله وقوله ﷻ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقال عمر :وجدنا خير عيشنا بالصبر، ج:٥، ص (٢٣٧٥) حديث رقم (٦١٠٥) .

وعليه فالعبد يتوجبُ عليه الثباتِ والصبر في ذكره وصلاته وسائر عباداتهِ بحيثُ لا يكونُ فريسة لوساوسِ الشيطانِ ومكايده فكيدهُ أمامَ قوةِ الإيمانِ ضعيف هزيل يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء :٧٦] ، وكلّما قصدَ العبدُ عملا لله ﷻ جاءَ من الوسواس وساوسُ تريد أنْ تكدِّرَ على المرء ذاكمُ العملَ ؛ فالشيطان كاللصِّ يقصد البيوت العامرة لينهب ما فيها ولا يتوجه إلى البيوت الخرابِ ؛ لأنها خرابٌ لا شيء فيها .

١٣- استحضار الهدي النبوي في جميع الأقوال والأفعال والتقريرات كلَّ وقتٍ وكلَّ حين، والإكثار من قراءة مالَهُ صلة بهديه ﷺ في العبادات والمعاملات وسائر شؤون الحياة المختلفة . لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب :٢١] . يقول ابن حبان : " إن الله ﷻ انتخب محمدا ﷺ لنفسه وليا ، وبعثه إلى خلقه نبيا ليدعو الخلق من عبادة الأشياء إلى عبادته ومن اتباع السُّبل إلى لزوم طاعته ؛ حيث كان الخلق في جاهلية جَهلاء وعصبية مضلة عمياء يهيمون في الفتن حيارى ، ويخوضون في الأهواء سكارى؛ يترددون في بحار الضلالة ،ويجولون في أودية الجهالة ؛ شريفهم مغرور ووضيعهم مقهور فبعثه الله إلى خلقه رسولا وجعله إلى جنانه دليلا فبلَّغ ﷺ عنه رسالاته وبين المراد عن آياته وأمر بكسر الأصنام ودحض الأزلام حتى أسفر الحق عن محضه وأبدى الليل عن صبحه وانحط به أعلام الشقاق وانهشمتْ بيضة النفاق، وإن في لزوم سنته تمام السلامة وجماع الكرامة لا تطفأ سُرجها ،ولا تدحض حججُها من لزمها عُصم ، ومن خالفها ندم ؛ إذ هي الحصن الحصين والركن الركين الذي بانَ فضله ومتنَ حبْلُهُ مَنْ تمسَّك به سادَ ومن رام خلافه بادَ؛ فالمتعلقون به أهل السعادة في الآجلِ والمغبوطونَ بين الأنام في العاجلِ "[1].

١٤- ملازمة المُوَسوَسِ أهلَ الصلاح والاستقامة والصبرِ على صحبتهم ؛ لأنَّ هذا يسهم في تخلصه من الوسوسة ويحفزه على الاستقامة ؛ فالشيطانُ مع الواحد أقرب وهو مِن الإثنين أبعد ، فكيف بالجماعة الطيبة والزمرة الصالحة لا شكَّ أنه يكون أبعد ما

---

[1] - ابن حبان ، محمد (ت ٣٥٤ هـ) ، **صحيح ابن حبّان** ،تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ط٢، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ، ج:١، ص (١٠٢).

يكون وحسبكَ في ذلكَ ما أخرجه الترمذي بإسنادِ حسن : عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ " [1] وحسبك قول الله تعالى :﴿ **وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ** ﴾ [الكهف: ٢٨] . وليعلم المُوسوس أنَّ مخالفة الطريق المستقيم والدربِ القويم هو مِن تسويلِ إبليسَ ووسوسته ودعوة منه للمرء ليكون مِن أصحاب السعير وفي ذلك يقول الله ﷻ : ﴿ **إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ** ﴾ [فاطر: ٦] .

١٥- ومِن الأساليب والطرائق الوقائية من الوسوسة الشيطانية أنْ يدعو الرجل حين يأتي أهله بما دعى به الرسول ﷺ؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه :عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ :قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي أَهْلَهُ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا " [2] قال الحافظ ابن حجر :" وفي الحديث .. استحباب التسمية والدعاء والمحافظة على ذلك حتى في حالة الملاذة كالوقاع .. وفيه الاعتصام بذكر الله ودعائه من الشيطان والتبرك باسمه والاستعاذة به من جميع الأسواء وفيه الاستشعار بأنه الميسِّر لذلك العمل والمعين عليه وفيه إشارة إلى أن الشيطان ملازم لابن آدم لا ينطرد عنه الا إذا ذكر الله " [3].

١٦- ومِن الطرائق الوقائية في دفع الوسوسة أنْ يحرصِ المسلم على طلبِ العلمِ الشرعي ؛ لأنه السبيل لمعرفة ما له أصل في الشرع وما ليس له أصل ؛ فالعالمُ الفَقِهُ أشدُّ على الشيطان من الجاهلِ .

---

[1] - الترمذي ، **الجامع الصحيح** ، كتاب الجهاد عن رسول الله ، باب : ما جاء في كراهية أن يسافر الرجلُ وحده ج:٤، ص (١٩٣) حديث رقم (١٦٧٣) . قال أبو عيسى : حديث ابن عمر حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عاصم وهو ابن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قال محمد بن إسماعيل البخاري :هو ثقة صدوق وعاصم بن عمر العمري ضعيف في الحديث لا أروي عنه شيئا وحديث عبد الله بن عمرو حديث حسن ".

[2] - البخاري ، **الجامع الصحيح** ، كتاب النكاح باب : ما يقول الرجل إذا أتى أهله ، ج:٥، ص (١٩٨٢) حديث رقم (٤٨٧٠) .

[3] - ابن حجر ، **فتح الباري** ، ج:٩، ص (٢٢٩) .

واعلمْ أنَّ المُوسوَسُ ما وسوسته إلا لجهله بالشريعة ولا يدفع ذلك إلى العلم فهو ينير العقول ويزيل الوساوس ويجعلُ المرء المتعلم على هدى وعلى بصيرة يقول ابن حزم : " لو لمْ يكُن من فائدةِ العلمِ والاشتغال به إلاَّ أنّه يقطعُ المشتغلَ به عن الوساوس المضنية ومطارح الآمال التي لا تفيد غيرَ الهمِّ ، وكفايةِ الأفكار المؤلمة للنفسِ لكانَ ذلكَ أعظمَ داعٍ إليه ، فكيف وَلهُ من الفضائلِ ما يطول ذكره " [1]

تم الفراغ من كتاب " قبس الروح في بيان ما في الوسوسة من الجنوح "

بحمد الله وفضله ضحى يوم الثلاثاء بتاريخ ٤ تموز لعام ٢٠٠٧م

الموافق للثامن عشر من شهر جمادى الآخرة لعام ١٤٢٨هـ

على صاحبها الهادي البشير والقمر المنير

أفضل الصلاة وأزكى التحية

---

[1] - ابن حزم ، محمد بن علي (٤٥٦ هـ) ؛ **الأخلاق والسير** ، تحقيق : إيفار رياض ومراجعة عبد الحق التركماني ، ط١ ، دار ابن حزم ، د.م ، ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م ، ص (٨٧) .

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم .

١. أبو داود ،سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥ هـ) ، **السنن** ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ط، دار الفكر ، د.م ، د.ت .

٢. ابن أبي العز ، علي بن علي (ت ٧٩٢هـ) ، **شرح العقيدة الطحاوية** ، ط٤، المكتب الإسلامي –بيروت ، ١٣٩١هـ .

٣. ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥ هـ) ، **المصنف** ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط١، مكتبة الرشد – الرياض ، ١٤٠٩ هـ .

٤. ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن (ت ٦٣٥ هـ) ، **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، تحقيق : طاهر الزاوي وآخرون ، ط٢، دار الفكر – بيروت ، ١٣٩٩ هـ –.

٥. ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧ هـ) ، **تلبيس إبليس** ، تحقيق : السيد الجميلي ، ط١، دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٤٠٥هـ –١٩٨٥م.

٦. ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧ هـ) ، **صفة الصفوة** ، تحقيق: محمد فاخوري وآخر ، ط٢، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٧. ابن الحجاج ، مسلم (ت ٢٦١ هـ) ، **الجامع الصحيح** ، بعناية : محمد فؤاد عبد الباقي ، د.ط ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د.ت.

٨. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) ، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** ، ط٢، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩٥هـ .

٩. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) ، **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطّلة والجهمية** ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٠٤هـ –١٩٨٤م .

١٠. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) ، **بدائع الفوائد** ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا وآخرون ، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز –مكة المكرمة ، ١٤١٦هـ.

١١. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) ، **الروح** ، د.ط ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٣٩٥هـ .

١٢. ابن بطّال، علي بن خلف (ت ٤٤٩هـ)، **شرح صحيح البخاري**، ضبط نصّه وعلّق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط١، مكتبة الرشد- الرياض ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٣. ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ) ، **مجموع الفتاوى** ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ،د.ط ، مكتبة ابن تيمية ، د.م ، د.ت .

١٤. ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ) ، **منهاج السنة** ،تحقيق: محمد رشاد سالم ، ط١ ، مؤسسة قرطبة ، د.م ، ١٤٠٦هـ

١٥. ابن حبان ، محمد (ت ٣٥٤ هـ) ، **صحيح ابن حبّان** ،تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

١٦. ابن حبان ، محمد (ت ٣٥٤ هـ) ، **الثقات** ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، ط١ ، دار الفكر –د.م ، ١٣٩٥هـ –١٩٧٥م .

١٧. ابن حجر ، أحمد بن علي (٨٥٢ هـ) ، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ،د.ط ، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ هـ.

١٨. ابن حجر ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) ، **تقريب التهذيب** ، تحقيق : محمد عوّامة ، ط٣، دار القلم –دمشق ،دار الرشيد –سوريا ، حلب ،١٤١١هـ – ١٩٩١م .

١٩. ابن حزم ، محمد بن علي (٤٥٦ هـ) ؛ **الأخلاق والسير** ، تحقيق : إيفار رياض ومراجعة عبد الحق التركماني ، ط١ ، دار ابن حزم ، د.م ، ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م.

٢٠. ابن حنبل ، أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ) ، **المسند** ، د.ط ، مؤسسة قرطبة – مصر د.ت .

٢١. ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ) ، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط١ ، دار الجيل – بيروت ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م .

٢٢. ابن قتيبة ، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) ، **تأويل مُشكِل القرآن** ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م.

٢٣. ابن القيسراني ، محمد بن طاهر (ت ٥٠٧هـ) ، **تذكرة الحفاظ** ، تحقيق: حمدي السلفي ، ط١ ، دار الصُميعي – الرياض ، ١٤١٥هـ

٢٤. ابن كثير ، إسماعيل ، (ت ٧٧٤ هـ) ، **تفسير القرآن العظيم** ، د.ط ، دار الفكر بيروت ، ١٤٠١هـ .

٢٥. ابن ماجة ، محمد بن يزيد (ت ٢٧٥ هـ) ، **السنن** ، بعناية محمد فؤاد عبد الباقي ، د.ط ، دار الفكر – بيروت ، د.ت .

٢٦. ابن منظور ، محمد بن مكرم ، (ت ٧١١ هـ) ، **لسان العرب** ،ط٢ ، دار صادر – بيروت ، ١٩٩٠ م .

٢٧. البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) **الجامع الصحيح** ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ،ط٣، دار ابن كثير ، اليمامة –بيروت ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٢٨. البيهقي أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) ، **السنن الكبرى** ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، د.ط ، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م .

٢٩. الترمذي ، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ) ، **الجامع الصحيح** ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، د.ط ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د.ت .

٣٠. الترمذي الحكيم ، محمد بن علي (٣٣٥ هـ) ، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول** ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، ط١ ، دار الجيل – بيروت ،١٩٩٢م .

٣١. الدارقطني ، علي بن عمر (٣٤٥هـ) ، **العلل** ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السَّلفي ، ط١ ، دار طيبة – الرياض –١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٣٢. الذهبي ، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) ، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، ط٩ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤١٣ هـ .

٣٣. الرازي ، محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٠ هـ) ، **مختار الصحاح** ، د.ط ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م .

٣٤. الرعيني ، الحطّاب (ت ٩٥٤هـ) ، **مواهبُ الجليل** ، تحقيق: زكريا عميرات ، ط١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، د.ت .

٣٥. السكندري ، ابن عطاء الله (ت) ، **لطائف المنن** ، تحقيق: عبد الحليم محمود ، د.ط ، مطبعة حسان ، د.م ، ١٩٧٨م .

٣٦. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) ، **تفسير الجلالين** ، ط١ ، دار الحديث – القاهرة .

٣٧. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) ، **شرح سنن ابن ماجه** ، د.ط ، قديمي كتب خانه – كراتشي ، د.ت .

٣٨. الشعراوي ، محمد متولي (ت ١٤١٩هـ) ، **تفسير الشعراوي** ، موسوعة مكتبة القرآن الكريم ، إصدار المركز الهندسي للأبحاث التطبيقية ، القرص رقم (٢) تفسير الاستعاذة .

٣٩. الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٥هـ) ، **كشف الشبهات عن المشتبهات** ، تصحيح محمد منير ، مطبعة المعاهد ، القاهرة –١٩٢١م.

٤٠. الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ، **جامع البيان في تأويل آي القرآن** ، د.ط ، دار الفكر – بيروت ، ١٤٠٥هـ.

٤١. العراقي ، زين الدين عبد الرحيم (ت ٨٠٦هـ) وإكمال ولده ولي الدين أبو زرعة العراقي ، **طرح التثريب في شرح التقريب** ، خرّج أحاديثه ووضع هوامشه عبد القادر محمد علي ، ط١ ، دار الكتب العلمية –بيروت ، لبنان ، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

٤٢. القرطبي ، محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ) ، **الجامع لأحكام القرآن** ، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني ، ط٢ ، دار الشعب – القاهرة ، ١٣٧٢ هـ.

٤٣. المناوي عبد الرؤوف (ت ١٠٣١ هـ) ، **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ، ط١ ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، ١٣٥٦هـ.

٤٤. النسائي ، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ) ، **السنن الصغرى (المجتبى)** ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدّة ، ط٢ ، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

٤٥. النووي ، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) ، **المجموع شرح المهذب** ، د.ط ، دار الفكر ، د.ت .

٤٦. النووي ، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) ، **المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج** ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٣٩٢ هـ .

٤٧. خليفة ، حاجي مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ) ، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، د.ط ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٣هـ –.

المحتويات

الموضوع رقم الصفحة





قبس الروح

لبيان ما في الوسوسة من الجنوح

دار الفضيلة